

المراحل الثمان
للانتفاع بالقرآن
إعداد
طلال بن يوسف السويل
طارق بن يوسف سليمان
التدبر
تحريك القلب
التخلق
الحفظ
العمل
التلاوة
الاستماع
التصديق



المراحل الثمان
للانتفاع بالقرآن
مرحلة الاستماع
مرحلة التلاوة
مرحلة الحفظ
مرحلة الفهم
مرحلة التصديق واليقين
مرحلة محركات القلوب
مرحلة العمل
مرحلة التخلق

كلمة المؤلف

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فإن القرآن الكريم أنزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة، رحمة منه بهم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ إبراهيم: ١.

وقد وصف الله عزوجل القرآن بأنه نور وروح، فالقرآن نور للعقل، وروح للجسد، ولعظيم ما فيه من البركات كانت تلاوته واستماعه من أعظم القربات، والاشتغال بتعلمه وتعليمه من أسمى الطاعات، وكان لأهله أعلى الدرجات، لو علم الناس ما فيه لاشتغلوا به عن كل ما سواه، وأعماله متنوعة كاستماعه وتلاوته وحفظه وتدبره، وغير ذلك.

ولا يكاد يخفى على أحد ما يقوم به كثير من المحبين لكتاب الله من الاهتمام بالقرآن كتابة ونشراً وتعليماً، ومما وفقنا الله له فكرة هذا الكتاب بعد اطلاعنا على ما كتب حول القرآن الكريم بشكل عام، ظهرت لنا هذه الفكرة السهلة الشمولية التي تقرب الناس من كتاب ربهم، وتحثهم على الانتفاع بكل ما فيه، وهي تقسيمه إلى مراحل ثمانية، وهي: استماعه وتلاوته وحفظه وفهمه وتصديقه وتحريك القلب به والعمل بما فيه ثم أخيراً التخلق بأخلاقه، ومبدأ الفكرة جاءت من قول لسفيان بن عيينة رحمه الله (أول العلم: الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر) مع تقديم وتأخير وتفصيل فيه، وكل ذلك مبني على قاعدتين عظيمتين حباهما الله للإنسان، وهما القوة العلمية والعملية.

واعلم أخي القارئ أن هذه المراحل لا تنفك واحدة منها عن الأخرى، وكل منها يأخذ بذيل سابقه، فكل منها مكمل للآخر، فاستماع القرآن وتلاوته وحفظه هي القائد إلى فهمه وتدبره، وتدبر الآيات يحمل على التذكر والاتعاظ، والتذكر يحمل النفس على الاستجابة والانقياد، وهنا يكمن مقصود الله تعالى في ذلك: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ص: ٢٩.

واعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التدبر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه.

وختاماً فإن الكمال عزيز وبلوغه صعب المنال وهذه محاولة بشر، أرادوا بها الخير لهم ولأمتهم ولإخوانهم في طريق الدعوة إلى الله وخدمة لكتاب الله، وعمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل، فما كان في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن أنفسنا والشيطان، فمن وجد خللاً فليقومه، ومن وجد نقصاً فليكمله، ولا يضيع أجر المصلحين، ونسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يغفر لنا، وأن يتجاوز عنا، وأن يبارك في جهدنا، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الحياةُ مع القـرآن

هي النعيم المعجل، والعيش المرغد، والسرور المبهج..نعمةٌ لا تعادلها نعمة،
عاش ابنُ عباس رضي الله عنهما مع القرآن حتى صار القرآنُ جليسَ فكره، وشاغلَ عقله حتى أنه كان يقول (والله لو أضعتُ عقالَ بعيري لوجدتُ ذلك في كتابِ الله)!

وقضى ابن تيمية جُلّ حياته في الدعوة والجهاد فلما سُجن في آخر حياته أقبل على القرآن تلاوة وتدبراً ثم قال : (ندمتُ على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن)
القرآن لا يكتفي بإيصالك للجنة ...بل لايزال معك حتى تصل أعلى درجاتها (اقرأ، وارتَقِ، ورتِّل) الله يبارك في عقل قارئه وحافظه .

كان بعض المفسرين يقول: (اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات والخيرات في الدنيا).
لو علم المقصر مع القرآن ما الذي ينتظره من نعيم حين يتلوه ماتردد والله لحظة ..!! كم من الشهور والأيام تنقضي ؟ ولا يكون منها نصيب لكتاب الله.

إن الحياةَ مع القـرآن حياةٌ مطمئنةٌ، وسكينةٌ دائمةٌ لا يعرفها إلا من عاش مع القرآن
وما قال أهل الجنة ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ فاطر: ٣٤ إلا لكونهم عاشوا مع القرآن،
تأمل بداية الآيات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٢٩

بل إن صحبة القـرآن.. هي الصحبة التي يثبت نفعها يوم يفر منك أبوك وأمك، وأخوك وصاحبك، وزوجتك وأولادك، وقبيلتك وعشيرتك فتلتفت فلا تجد إلا صاحبك الوفي (القرآن) يقف معك يجادل عنك ويشفع لك "اقرَؤوا القرآنَ ؛ فإنّهُ يأتي يومَ القيامةِ شَفيعًا لأصحابِه"

- فلا تغادر دنياك قبل أن تذوق أطيب ما فيها؛ العيشَ مع كتاب الله..

فاللَّهُمَّ اجعلنا من اهل القرآن الذين هم اهلك وخاصتك وارزقنا الإخلاص فيه والعمل به .

مقدمة

الحمدُ لله الذي نَزَّلَ القرآن بلسانٍ عربيٍّ مُبين، فكان من بيانِهِ وفصاحته ما يبهر العقول، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف: ٣.

والصلاةُ والسلامُ على من أُوتي جوامع الكَلِم، أفصح الثقلين لسانًا، وأعذبهم بيانًا، وعلى آله وأصحابه الذين جَنَّدُوا أنفسهم للعناية بالقرآن الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، وبعد:

فالقرآن الكريم وثيقة النبوة الخاتمة، ولسان الدين الحنيف، وقانون الشريعة الإسلامية، دستور حياتنا، به نهتدي، وإليه نحتكم، وبأوامره ونواهيه نعمل، وعند حدوده نقف ونلتزم، سعادتنا في سلوك سننه، واتباع منهجه، وشقاوتنا في البعد عن تعاليمه، وهو رباط بين السماء والأرض، وعهد بين الله وبين عباده، الصالح لكل زمان ومكان، وهو أشرف الكتب السماوية، وأعظم وحي نزل من السماء.

كلام الله الذي لا يدانيه كلام، وحديثه الذي لا يشابهه حديث ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء: ٨٧، أشرف الكلام، وأفضل الذكر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨

وهو حبل الله المتين، وموعظته إلى عباده ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٥٧، وآية صدق رسوله صلى الله عليه وسلم الباقية إلى آخر الدنيا، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى: ٥٢.

إنه كلام الله الذي يعظم بعظمة قائله سبحانه، وهو المعجزة الخالدة، تحدى الخلق أن يأتوا بمثله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: ٨٨،

ثم تحداهم بأقل من ذلك فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ هود: ١٣،

ثم تحداهم بأقل من ذلك فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة: ٢٣ فلم ولن يستطيعوا.

سمّاه بأسماء كريمة، أعظمها القرآن ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ الواقعة: ٧٧، ووسمه بالكتاب ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ البقرة: ٢،

ووصفه بأجمل الأوصاف، وأجل النعوت، فكان من صفاته عزيز، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢،

وهو الهدى ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ النمل: ٧٧.

فيه الخير الكثير، والعلم الغزير، ومنه تستمد سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وما من شر إلا وقد نهى عنه، وحذر منه، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأنعام: ١٥٥، روى ابن حبان في «صحيحه» ح١٢٢، عن أبي شريح رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أبشروا؛ أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم؛ فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا» وإسناده على شرط مسلم.

إن القرآن هو الحياة الحقيقية، وبغير منهجه فليس ثمة حياة وإن رآها الناس كذلك،

<



﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٢٢،

فلا حياة في غير القرآن، كيف؟، وهو الروح فهل ثمت حياة بغير روح ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى: ٥٢.

وقد وصف الله أولئك المعرضين عن القرآن بالعمى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ طه: ١٢٤ - ١٢٦.

ووعد من أخذ به بالرفعة والسمو فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين» رواه مسلم، ح(٨١٧).

ومن هنا، فلنسأل أنفسنا ما هو نصيبنا من القرآن، وهل خصصنا من أوقاتنا شيئا لقراءته؟، وهل تذوقنا حلاوته؟، أم أننا للقرآن هاجرون ولحلاوته فاقدون، نسمع ولا نعتبر ونقرأ ولا ندكر، والله يقول: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: ١٧.

وانطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم «إن لله أهلين من الناس، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» رواه أحمد ح١٢٢٧، وهو في صحيح الترغيب(١٤٣٢).

جاء هذا الكتاب عسى أن نكون من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته.



فكرة الكتاب

إن أعظم علم وأشرفه هو علم كتاب الله عَزَ وَجَلَّ، فقد بذل علماء المسلمين في خدمة هذا الكتاب العظيم جهودًا كبيرة منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا، وما تركوا جانبًا من جوانب خدمته إلا وقاموا به خير قيام.

ونشراً لما قام به الأوائل عملنا على جمع مادة الكتاب وتحريرها وصياغتها، وقد تميز هذا الكتاب بأسلوب سهل ميسر، وهو مناسب لكل الناس صغيرهم وكبيرهم؛ ليكون نبراساً وطريقاً صحيحاً لهم نحو الانتفاع بالقرآن الكريم.

منهجه

سرنا في هذا الكتاب على منهجية علمية رصينة ربطت بين مراحل الكتاب عامة، حتى يسهل النفع بها، وبني على قاعدتين وقوتين عظيمتين حباهما الله للإنسان، وهي قوته العلمية والعملية، وهاتان القاعدتان ذكرهما العلماء في كتبهم حتى قال شيخ الإسلام عنهما: «وقد ذكر القرآن صلاح القوة النظرية العلمية والقوة الإرادية العملية: في غير موضع كقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ الصف: ٩، فالهدى كمال العلم ودين الحق كمال العمل» مجموع الفتاوى (٢/ ٥٩). وسيأتي لها مزيد بيان في التمهيد.

وقد قسم الكتاب إلى ثماني مراحل، وهي على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة الاستماع | **المرحلة الخامسة:** مرحلة التصديق واليقين

المرحلة الثانية: مرحلة التلاوة | **المرحلة السادسة:** مرحلة محركات القلوب

المرحلة الثالثة: مرحلة الحفظ | **المرحلة السابعة:** مرحلة العمل

المرحلة الرابعة: مرحلة الفهم | **المرحلة الثامنة:** مرحلة التخلق

لذا جاء وسم هذا الكتاب: المراحل الثمان للانتفاع بالقرآن

وهذه المراحل جمعت باجتهاد دل عليه الاستقراء مما كتب حول القرآن الكريم، فخرجت بهذا الترتيب على شكل مراحل ومحطات تم ترتيبها بشكل يكون أنفع للقارئ، وروعي في هذه المراحل التركيز على الجانب العملي التطبيقي، وهو المقطود الأعظم من الكتاب.

مع بعض الأعمال الهامة في إخراج الكتاب بصورة تشويقية وعرض جميل، تسهيلاً في إيصال المعلومة، مع ذكر بعض الأنشطة التي تبرز مقصود الكتاب.

ونظراً لأن هذه المراحل بها من التداخل في مضمونها الكثير؛ بل البعض منها بينهما علاقة طردية فلا يمكن أن تكون مرحلة إلا بأخرى؛ لذا قمنا بتقسيمها إلى أربع محطات:

١ المحطة الأولى

وهي ما يتعلق باستقبال العلم وحصوله من سماع وتلاوة وحفظ، فإنه إن لم يحصل حفظ قل نفع سماعه وتلاوته لأن المقصود أن نصل إلى التذكر كما في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ طه: ١١٣.

٢ المحطة الثانية

معالجة العلم؛ وهو بالفهم والتفكر والاستبصار والاستنباط والتدبر، وهو ما يتعلق بمرحلتي تدبر القرآن وفهمه والتصديق واليقين به، والتي تثمر التذكر.

وهاتان المحطتان متعلقتان بالقوة العلمية،

وأما ما يتعلق بالقوة العملية فهو:

٣ المحطة الثالثة

من تحريك القلب بالقرآن بمحركات القلوب وأعظمها المحبة والخوف والرجاء، وهي التي تورث الإرداة والعزيمة للعمل بالقرآن الكريم.

٤ المحطة الرابعة

وهو ما يتعلق بالعمل والسلوك، وجعل القرآن دستور حياة، وهي متعلقة بالمراحلتين الأخيرتين من الكتاب وهما العمل به والتخلق بأخلاقه.

وهذه المحطات يوضح العلاقة بينها الصورة الآتية:



ونختم بهذه الأبيات الجميلة للشاطبي في قصيدته المشهورة حرز الأماني في القراءات السبع:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ... وَأَغْنَى غَنَاءً وَاهِبَاً مُتَفَضِّلاَ

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاَ

إلى أن قال رحمه الله:

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكاً ... مُجِلاًّ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلا

هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا ... مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلا

فَما ظَنُّكُمْ بالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ ... أُولئِكَ أَهْلُ اللهِ والصَّفْوَةُ المَلاَ

أُولُو الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى ... حُلاَهُمُ بِهَا جَاءَ الْقُرَانُ مُفَصَّلاَ

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الكتاب سيتوفر إلكترونياً بغية أن يصل إلى عدد كبير من القراء رجاء الأجر، ولقلة التكلفة على القارئ وسهولة تيسيره بين يديه، وسيكون أكثر بسطاً فيما يتعلق بالمراجع والأنشطة، فهذه شذرات مختصرة مرصعة بآيات القرآن الكريم، فخذها أخي القارئ بقوة واستعن بالله ولا تعجز، فما كان من صواب فمن الله وحده المعين، وما كان من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، وكلنا أهل للعجز والنقص، ولعل لك في قول الشاطبي أسوة حسنة:

وإنْ كـان خَـرْقٌ فادّركه بفضـلةٍ ... من الحلم وليُصْلحه مَن جَاد مِقولا

ختاماً، نشكر كل من ساهم في بناء هذا العمل، وشارك في إنجازه، والشكر موصول لإخوة فضلاء شاركوا في جمع بعض مادة هذا الكتاب، كتب الله أجرهم، وتقبل منا ومنهم.

والله وحده الموفق، والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وتم بعون الله وتوفيقه

في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم

شهر الله المحرم ١٤٤٠هـ

الموافق سبتمبر ٢٠١٨ م

تمهيد

القرآن الكريم كلام الله ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الشعراء: ١٩٢، نزل بواسطة ملك من الملائكة وهو جبريل ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ الشعراء: ١٩٣، فصار أفضل الملائكه وخيرهم وأثنى عليه في كتابه ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ﴾ التكوير: ٢٠، على عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ الشعراء: ١٩٤.فصار خير الناس وأفضل المرسلين، واختار له ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ البقرة: ١٨٥، فصار خير الشهور وأكثرها بركة وأجراً، واختار لإنزاله ليلة منه ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ القدر: ١، فكانت خير ليالي السنة وأعظمها، ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ القدر: ٣، فيها تقدر الأرزاق والبركات، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ الدخان: ٣ - ٤، بل شرف به مكان نزوله، فكانت مكة والمدينة خير البقاع على الإطلاق؛ لأنه فيهما تنزل، واختار له من بين الأمم أمة الإسلام؛ فأصبحوا خير أمة أخرجت للناس ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠، وما أخذ به أحد إلا صار من خير الناس وأفضلهم عند الباري، لذا يقول صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري ح٥٠٢٧.

وكان نزول جبريل عليه السلام على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غار حراء مؤذنٌ ببداية النبوة، وقد نزل بالآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وهي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ العلق: ١ - ٥.

أُنزِل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم أنزله على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعضه في إثر بعض، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ الفرقان: ٣٢، مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ الإسراء: ١٠٦.

ويحتوي القرآن على مائة وأربعة عشر سورة يبدأ بأعظم سورة فيه وهي الفاتحة، وينتهي بسورة الناس، وتصنف إلى مكّية ومدنية وفقاً لزمان نزول الوحي بها، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي وما نزل بعدها فهو مدني.

ومنذ بداية نزول القرآن وانشغال المسلمين البالغ به وبتعلمه، تفرّعت حوله عدة علوم ومعارف، علوم تتألف من مباحث تتعلق بالقرآن الكريم، من ناحية نزوله، وكتابته، وجمعه، ورسمه، وناسخه ومنسوخه، ومكيه ومدنيه، وإعجازه، وأسلوبه، وأمثاله، وقصصه، أومن ناحية تفسيره، وتوضيح ألفاظه، وغير ذلك الكثير جمعت في مؤلفات بعضها مختصر، وبعضها مفصل تفصيلاً واسعاً، وسميت بعلوم القرآن.

وكان قراء الصحابة هم الأوائل في معرفة علوم القرآن، والعِلْم بالناسخ والمنسوخ، وبأسباب النزول، ومعرفة الفواصل والوقف، وخلال فترات التاريخ الإسلامي برز في كل عصر علماء اختصوا في مجال من مجالات علوم القرآن، فألفوا في مختلف فنون هذا العلم.

والقرآن عند العلماء كلام من الله لفظًا ومعنى، وفرقوا بينه وبين الحديث القدسي بأنه ما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه بألفاظه، ولكن دون التعبد بها، وليس للتحدي والإعجاز، فمعناه من الله، ولفظه من الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويعود الفضل للقرآن الكريم في توحيد اللغة العربية، كما أنه أعطى اللغة العربية سيلاً من حسن السبك وعذوبة الكلمات، ومن البلاغة والبيان ما عجز عنه بلغاء العرب.

وبعد هذه المقدمة والتمهيد ننتقل بك أخي القارئ الكريم إلى ما بني عليه الكتاب وهو الكلام على القاعدتين والقوتين اللتين حباهما الله للإنسان وهما القوة العلمية والعملية.

القوة العلمية والعملية

كمال الإنسان في أن يعبد الله علماً وعملاً كما أمره ربه، وهؤلاء هم عباد الله المؤمنون وأولياءه المتقون، وجنده الغالبون، وهم أهل العلم النافع، والعمل الصالح، وهم الذين زكوا نفوسهم وكملوها، كملوا القوة النظرية العلمية، والقوة الإرادية العملية.

والقلب في جسم الإنسان سيد الأعضاء كما أخبر صلى الله عليه وسلم، «وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله»، وللقلب جندان؛ جند يرى بالأبصار، وجند يرى بالبصائر؛ فأما جنده المشاهد فالأعضاء الظاهرة والباطنة، وقد خلقت خادمة له لا تستطيع له خلافاً؛ فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت، وإذا أمر اللسان بالكلام تكلم، وإذا امر اليد بالبطش بطشت، وإذا أمر الرجل بالسعي سعت، وكذا جميع الأعضاء ذلك له تذليلا. من التبيان في أقسام القرآن (ص: ٤١٤).

ولما كان للقلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه ويعود عليه بصلاحه وسعادته، فكماله باستعمال قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته والتمييز بينه وبين الباطل، وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته، وإيثاره على الباطل، فمن لم يعرف الحق فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه، ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه». إغاثة اللهفان ص ٢٠.

والقرآن كله يدعو إلى النظر والاعتبار والتفكر وإلى التزكية والزهد والعبادة. وقد ذكر القرآن صلاح القوة النظرية العلمية والقوة الإرادية العملية: في غير موضع كقوله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ الصف: ٩ فالهدى كمال العلم ودين الحق كمال العمل. كقوله: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ ص: ٤٥ وقوله: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾ المجادلة: ٢٢ . وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ البينة: ٧ وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾ فاطر: ١٠. مجموع الفتاوى (٥٩/٢).

ويمكن تمييز وظائفه بتقسيمها إلى قوتين رئيستين، وهما:

١- **القوة العلمية**: **وهي قوة الإدراك، والتمييز، وقبول العلم**، وتخزينه وحفظه واستذكاره، وترتيبه والاستنباط منه، وهذه القوة هي من خصائص الجانب المعرفي، فمهمة القلب فيها العقل والتدبر والتفكر والسمع، والبصيرة والنظر والتأمل والفهم، وفيها قول القلب وهي متمثلة في التصديق، وهو أصل هذه القوة، فلا يكفي المعرفة والعلم إن لم يحصل التصديق.

وخاصية السمع؛ بمعنى: إدراك المسموع وفهمه هي بالقلب، لذا قال تعالى: ﴿وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ الأعراف: ١٠٠.

والعين تنقل المرئيات للقلب، وخاصية التبصر؛ بمعنى: إدراك المرئي وفهمه بالقلب، لذا قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ الحج: ٤٦.

ومن هنا بنيت مراحل الكتاب الخمسة على هذه القوة، فيما يتعلق باستماعه ثم تلاوته، وحفظه، وفهمه، ومن ثم التصديق واليقين به.

كما أن تأخر أو تعطل الإدراك بمراتبه يكون إما لضعف طرق العلم إلى النفس أو لفقدانها، والله - تعالى - بين أن الطبع على القلب والختم والإقفال والحجب له يعطله عن مهمة العلم، إما لأجزاء من العلم، أو للعلم كله.

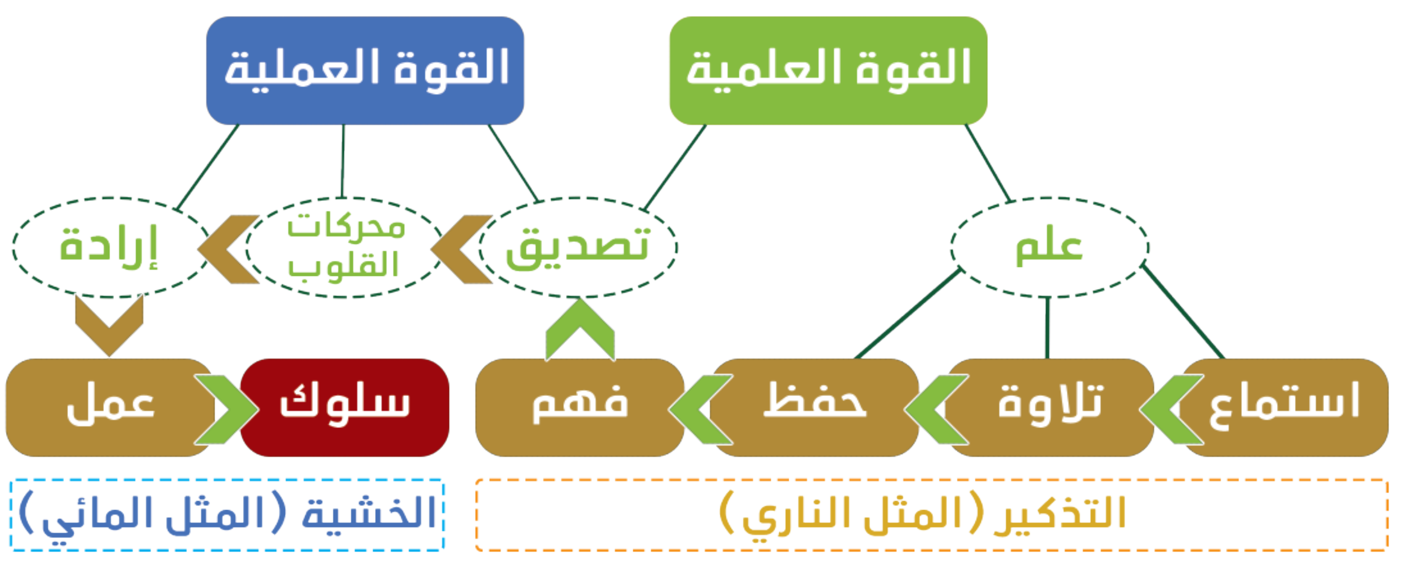
وقد فطن المفسرون إلى أن من وظائف القلب القوة العلمية والإدراكية؛ **وهي لا تتعطل ولا تتوقف، ولكن تفتر وتنشط**، وصلتها بالقوة العملية متداخلة ومتكاملة.

وينبغي أن يعرف **أن هاتين القوتين لا تتعطلان في القلب**، بل إن استعمل قوته العلمية في معرفة الحق وإدراكه، وإلا استعملها في معرفة ما يليق به ويناسبه من الباطل، وإن استعمل قوته الإرادية العملية في العمل به، وإلا استعملها في ضده، فالإنسان حارث همام بالطبع، كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «أصدق الأسماء: حارث وهمام». إغاثة اللهفان (١/ ٢٤).

٢- **القوة العملية: وهي قوة الإرادة والعزم، والحب**، وهذه تمثل أعمال القلب وما يكسب بها من حسنات أو سيئات، وهي التي تورث العمل.

وهذه القوة بنيت عليها مراحل الكتاب الأخيرة المتعلقة بتحريكة القلب به محبة وخوفاً ورجاءاً، والعمل بما فيه، ثم التخلق بأخلاقه.

من الناس من يكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه، ويكون ضعيفا في القوة العملية يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها، ومن الناس من تكون له القوة العملية الإرادية وتكون أغلب القوتين عليه وتقتضي هذه القوة السير والسلوك والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والجد والتشمير في العمل، ويكون أعمى البصر عند ورود الشبهات في العقائد والانحرافات في الأعمال والأقوال. طريق الهجرتين (ص: ١٨٤).





- أهميته وفضائله
- الهدي النبوي في استماعه
- ورد استماع القرآن
- هدي السلف في استماعه
- أنواع الناس عند استماع القرآن
- آثار استماع القرآن في النفس
- نماذج من تأثير استماع القرآن
- فتاوى وأحكام
- مراتبه
- آدابه







استماع القرآن الكريم عبادة صامتة يغفل عنها الكثيرون؛ قال تعالى:
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤



أهميته وفضائله

١٩

لا شك أن الاستماع الجيد هو الخطوة الأولى للتأثير، وإن حسن تلقي المعلومة يعتمد في المقام الأول على إحسان الاستماع إليها والإنصات.

وفضائله كثيرة منها أنه يجلب رحمة الله، نزول السكينة، حضور الملائكة، تحصيل الأجر العظيم، والشعور بالطمأنينة والهدوء.

الهدي النبوي في استماعه

٢٠

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآنٍ من غيره؛ بل طلبها من بعض أصحابه، وقد تلقى القرآن سماعاً من جبريل عليه السلام.

ورد استماع القرآن

٢٠

لابد للمسلم أن يخصص شيئاً من يومه لاستماع قدر من القرآن الكريم، وخاصة للقراء المجيدين أصحاب الأصوات العذبة الندية، وأقله ما يسمعه في الصلوات المفروضة.

أوقات الاستماع

٢٠

وهي الثلث الأخير من الليل والصلوات المفروضة، وبعد الفجر، وبعض الأوقات المخصوصة.

آدابه

وأهمها ألا يشغل قلبه عما سوى كتاب الله تعالى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق: ٣٧

هدي السلف في استماعه

لقد أعطى لنا القرآن نموذجًا للسماع الصحيح لسلفنا رضي الله عنهم، فحالهم عند سماعه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢

أنواع الناس عند استماع القرآن

رجل قلبه ميت، ورجل له قلب حي مستعد، جل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق:٣٧

الفرق بين السماع والاستماع والإصغاء والإنصات

السماع يكون بقصد ومن دون قصد، والاستماع: هو التدبر في الشيء والإصغاء إليه ليفهم، والإصغاء: دلالة على أن المستمع قد أمال سمعه أو أذنه إلى المتكلم، والإنصات: هو السكوت وترك الكلام؛ لأجل سماع ما يقال.

مراتبه

استماع مجرد ثم استماع تفهم وتدبر ثم استماع الإجابة والقبول.

آثار استماع القرآن في النفس

آثار سماعه في النفس كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: ٢١.

فتاوى وأحكام

فتاوى وأحكام خاصة باستماع القرآن الكريم، ومنها يمكَّن غير المسلم من سماع القرآن لقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: ٦.

نماذج من تأثير استماع القرآن

ومنه تأثير استماعه على جميع المخلوقات وذلك عندما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «النَّجم» وسجد، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «سَجَدَ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بالنَّجْمِ، وسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمونَ والمُشْرِكُونَ، والجِنُّ والإِنْسُ» رواه البخاري، (ح ٤٨٦٢).

مرحلة الاستماع

القوة العلمية لها محطتان، أولها: المتعلقة باستقبال العلم وحصوله، ومرحلة الاستماع إحدى مراحلها، واستماع القرآن الكريم عبادة صامتة يغفل عنها الكثيرون؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤،

وقد عرف الكفار عظم أثر سماعه، وما يثمره من بث للإيمان والهداية في النفوس؛ فاجتهدوا في صد الناس عن سماعه واتباعه، ويبعدون أنفسهم عنه كما أخبر عنهم ربنا بقوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ الأنعام: ٢٦، ولسماع القرآن سحر للقلوب وسلطان عليها، ولذة وحلاوة لا تقاوم حتى تواصى الكفار فيما بينهم ألا يستمعوا للقرآن، ولا ينقادوا لأوامره؛ بل إذا تلي عليهم أن يشوشوا بقول الباطل؛ وذلك لما يعلمون من صدقه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فصلت: ٢٦.

فائدة

أول من جهر بالقرآن هو عبد الله بن مسعود، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد " رواه أحمد بإسناد حسن ح(٣٥).

وذات مرة قال له: ((اقرأ عليَّ))، فقال: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟! قال: ((فإني أحب أن أسمعه من غيري)). رواه البخاري ح (٤٣٠٦)، ومسلم ح (٨٠٠).

آية وتفسير

﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨

قرآن الفجر، أي: أنَّ القرآن الذي يتلوه الإمام في صلاة الفجر تشهده وتحضر سماعه الملائكة فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم -وهو أعلم بكم -كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون» رواه البخاري ح (٥٥٥) ومسلم ح (٦٣٢).

لا يؤثر شيء على السر مثل ما يؤثر عليه سماع القرآن، فإن العبد إذا سمع خشع سره، وأنار ذلك قلبه بالبراهين الصادقة، وزين جوارحه بالتذلل والانقياد.

سهل بن عبد الله. تفسير التستري (ص: ٩٦)




أهميته وفضائله

لا شك أن الاستماع الجيد هو الخطوة الأولى للتأثير، وإن حسن تلقي المعلومة يعتمد في المقام الأول على إحسان الاستماع والإنصات إليها، وقد أمر الله بالاستماع في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ المائدة: ١٠٨، وقال: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ التغابن: ١٦

وقد جعل القرآن العظيم ذلك كأدب شريف من آداب تلقي الرسالة القرآنية فأمر بالاستماع له والإنصات فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤، كما زجر كل نافرٍ عن استماعه، لاهٍ عن الإنصات للنصح والإرشاد، قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الحج: ٤٦؛ بل لقد بشر الله عباده الصالحين الذين يحسنون الاستماع والعمل بما سمعوا، فقال سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الزمر: ١٧ - ١٨.

وجعل الإسماع منه والسماع منهم دليلا على علم الخير فيهم، وعدم ذلك دليلا على عدم الخير فيهم، فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ الأنفال: ٢٣.

فالسماع رسول الإيمان إلى القلب وداعيه ومعلمه، وكم في القرآن من قول: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ السجدة: ٢٦.

«فالسماع أصل العقل وأساسه ورائده وجليسه ووزيره، ولكن الشأن كل الشأن في المسموع... وحقيقة السماع تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه طربا وهربا وحبا وبغضا». مدارج السالكين (١/ ٤٧٨).

١. يجلب رحمة الله لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤، قال الليث: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن، و(لعل) من الله واجبة.
فضائل القرآن وآداب التلاوة للإمام القرطبي ص (١٢).

٢. نزول السكينة.

٣. حضور الملائكة.





٤. ذكر الله لمستمع القرآن، فقد قال رسول الله ﷺ: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده". رواه مسلم ح(٦٧٢٦).

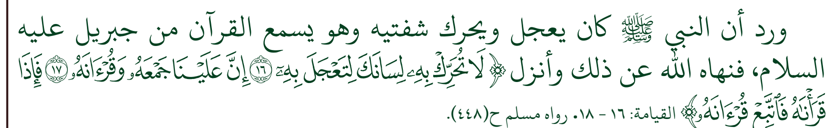
٥. تحصيل الأجر العظيم، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: (من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كُتب له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة) رواه أحمد مرفوعاً ح(٣/٣٤١)، والصحيح وقفه.

٦. طريق لهداية الإنسان، فقد وصف الله صاحبه بأنهم أصحاب العقول السليمة الراشدة فقال عزوجل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر: ١٧ - ١٨.

٧. تحصيل النور، فعن ابن عباس رضي الله عنهم: (من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كانت له نوراً). رواه الدارمي ح (٣٣٦٧) بسند صحيح.

٨. الشعور بالطمأنينة والهدوء والراحة؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨

الهدي النبوي في استماعه



ورد أن النبي ﷺ كان يعجل ويحرك شفتيه وهو يسمع القرآن من جبريل عليه السلام، فنهاه الله عن ذلك وأنزل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ القيامة: ١٦ - ١٨، رواه مسلم ح(٤٤٨).

يعني: استمِع وأنصِت ولا تعجَل بتحريكِ شفَتَيك وجبريلُ يُقرِئُك القرآن، فإذا انتَهَى من القراءَةِ فإن عليك أن تُقرئَه للناسِ وتُبلِّغَه لهم.

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآن من غيره، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلم «اقرأ علىّ القرآن»، فقلت يا رسول الله: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيرى»، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ النساء: ٤١، قال: «حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان». رواه البخاري ح (٤٣٠٦)، ومسلم ح (٨٠٠).

وطلب استماع القراءة من القارئ حسن الصوت الذى يجيد التلاوة، وقد مدح تلاوة الأشعريين حال استماعه لهم، فعن أبي موسى رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم» إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم، بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار». رواه مسلم ح(٢٤٩٩)، وقال مرة لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود». رواه مسلم ح (٧٩٣).

واستمع لقراءته الجن فأعجبوا بها، قال تعالى ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ الجن: ١، وأول ما قالوا حينما طرق القرآن أسماعهم أن تنادوا بالإنصات فكانت الاستجابة الطبيعية المستقيمة لسماع القرآن مع الإنصات له اطمأنت قلوبهم إلى الإيمان، وانصرفوا بعد ذلك متأثرين بجاذبية القرآن عند من يتلقاه بحس واع وقلب مفتوح ﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الأحقاف: ٢٩ - ٣٠ .

فليعتبر بهم من دونهم من بنى البشر ممن يقولون بعدم تأثرهم بسماع القرآن وعدم تحرك قلوبهم به.

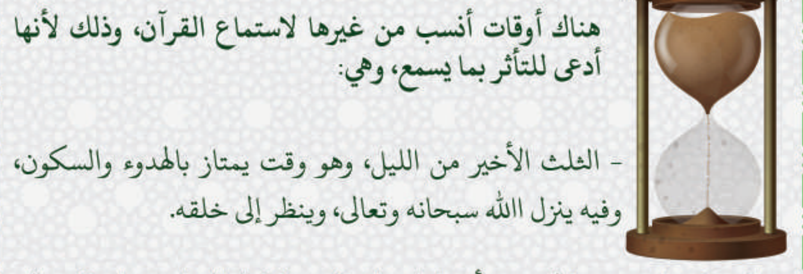
ورد استماع القرآن



لابد للمسلم أن يخصص شيئاً من يومه لاستماع قدر من القرآن الكريم، وخاصة للقراء المجيدين أصحاب الأصوات العذبة الندية، وأقله ما يسمعه في الصلوات المفروضة، فيحرص على اختيار مسجد به إمام مؤثر في قراءته، ونتأمل حكمة الله من جعله بعض الصلوات الخمس جهرية، وذلك لأهمية سماع القرآن، وكلها في الليل لأنه مدعاة للسكون والطمأنينة والراحة، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨

أوقات الاستماع



هناك أوقات أنسب من غيرها لاستماع القرآن، وذلك لأنها أدعى للتأثر بما يسمع، وهي:

- الثلث الأخير من الليل، وهو وقت يمتاز بالهدوء والسكون، وفيه ينزل الله سبحانه وتعالى، وينظر إلى خلقه.
- الصلوات المفروضة الجهرية، وأحراها صلاة الفجر لطول القراءة فيها، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨، وفي هذا الوقت تتنزل الرحمات.
- بعد صلاة الفجر، وهو وقت يمتاز براحة النفس وصفاء الذهن.
- أوقات مخصوصة كالتراويح في رمضان، وصلاة الخسوف والكسوف التي تطول فيها قراءة القرآن الكريم.

آدابه

١- أن يجلس المستمع في أدب دومًا مع سكون جوارحه.

٢- ألا يشغل قلبه عما سوى كتاب الله تعالى لقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق: ٣٧

٣- أن يستمع في إنصات وسكينة إعظاماً واحتراماً للقرآن؛ لينال رحمة الله سبحانه، فيتعظ بمواعظه ويعتبر بعبره، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤

٤- إذا مَرَّ بآية رحمة طلبَ الرَّحمة منَ الله، وإذا مرَّ بآية عذاب أن يستعيذ بالله من عذابه، وإذا مَرَّ بآية رجاء دعا الله أن يغفرَ له وللمسلمين.

٥- العزم على العمل بما يسمع لقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الزمر: ١٧ - ١٨.

٦- الأفضل إذا سمع آية سجدة سجد.

٧- أن يبكي حال استماعه للقرآن، فإن لم يستطع فليتباكى.

٨- اختيار المكان المناسب الخالي من الضوضاء والأصوات غير القرآن الكريم.

هدي السلف في استماعه

لقد أعطى لنا القرآن نموذجًا للسماع الصحيح لسلفنا رضي الله عنهم، فحالهم عند سماع القرآن وَجَل القلوب، ودموع العيون، واقشعرار الجلود؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢،

وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر: ٢٣.

وقيل لعائشة رضي الله عنها: إن قوما إذا سمعوا القرآن صعقوا، فقالت: « القرآن أكرم أن تنزف عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال الله عز وجل ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣» فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ٢١٤)

وها هو الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه (خرج ذات ليلة يتفقد أحوال الرعية يعس بالمدينة، فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته وكان الرجل يقرأ من سورة (الطور) فلما بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ الطور: ٧، قال رضى الله عنه قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره واستند إلى حائط فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه» هذا الأثر ذكره ابن كثير بسنده في تفسيره (٤/ ٢٤١) وعزاه للحافظ ابن أبي الدنيا.

وذلك سر القرآن، فهناك لحظات خاصة غير مرقوبة تمس فيها الآية أو السورة موضع الاستجابة فإذا وافقت قلبا مكشوفاً نفذت إليه وفعلت به الذى فعلت فيكون منها ما يكون.

وهذا أسيد بن حضير رضي الله عنه، قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحي قريباً منها، فأشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحي، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: «وتدري ما ذاك؟»، قال: لا، قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم» رواه البخاري ح٥٠١٨.

ومن تأثير هذا القرآن العجيب في النفوس ووقعه الهائل على القلوب التي ملئت بالعلم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ الإسراء: ١٠٧

وكان الفضيل بن عياض قبل توبته قاطع للطريق، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الحديد: ١٦، قال: فلما سمعها قال: «بلى يا رب، قد آن» . رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٤٣٠).

أنواع الناس عند استماع القرآن

يقول ابن القيم: قال تعالى في آياته المشهودة﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق: ٣٦ - ٣٧، والناس ثلاثة:

الأول: رجل قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست هذه الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجل له قلب حي مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

الثالث: رجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملق السمع، وهو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسط من البعد والقرب، فهذا هو الذي يراه، فسبحان من جعل كلامه شفاء لما في الصدور. مدارج السالكين (١/ ٤٤١).

الفرق بين السماع والاستماع والإصغاء والإنصات

يظهر الفرق في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فليس من سمعه بدون قصد كمن لم يقصد سماعه، ومن هنا يظهر فرق الأجر للمستمع.

وقد بين العلماء أن الرحمة يفوز بها من حقق كمال الاستماع، والفرق بينها:

أن السماع يكون من دون قصد، ومثاله في كتاب الله العزيز قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ القصص: ٥٥.

والإصغاء: دلالة على أن المستمع قد أمال سمعه أو أذنه إلى المتكلم أو مصدر الصوت حتى ينقطع عن كل شيء يشغله عنه حيث التركيز وتفاعل القلب والمشاعر، ومنه قوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم: ٤.

والاستماع: هو السماع لشيء بقصد والإصغاء إليه ليفهم، واستماع لما كان بقصد لا يكون إلا بالإصغاء ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾ الأحقاف: ٢٩.

والإنصات: هو السكوت وترك الكلام؛ لأجل سماع ما يقال، وهذا معنى قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤.

فالاستماع وجود السبب أي بقصد استماع القرآن، والإنصات انتفاء المانع وهو السكوت وترك الكلام.

ينظر: المصباح المنير (١/ ٢٨٩)، الفروق اللغوية (ص: ٤٩)، (ص: ٢٨٤)، العذب النمير (٤/ ٤٦٠)



مراتبه



استماع - استماع تفهم وتدبر - استماع الإجابة والقبول

فالأولى: الإحساس بالصوت دون فهم، بل إنما تسمع الصوت فقط، كما في قوله تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ البقرة: ١٧١

والثانية: هي الإحساس بالصوت مع الفهم وذلك في قوله تعالى:﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٧٥

والثالثة: هي الإحساس بالصوت مع الفهم بالإضافة إلى الاقتناع والإيمان والطاعة وهي أعلى درجات السمع التي تُمنح للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ الأنعام: ٣٦. بتصرف من مدارج السالكين (١/ ٤٧٩)

آثار استماع القرآن في النفس

قال الله تعالى﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر: ٢١.

إذا تأملت في هذه الآية، ترى بأن هذا القرآن العظيم له أثر في الجمادات؛ بل ومختلف العوالم والكائنات، فكيف بالنفس البشرية التي إذا صفت لله تعالى كانت في أعلى الدرجات.

هذا القرآن الكريم يؤثر في النفس تأثيراً لم يشهد أحد مثله قبل نزول القرآن، ومثال ذلك نراه في مشهد لعتبة بن ربيعة عندما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاوضه في أمر رسالته، ويعرض عليه المال والجاه والملك والسلطان ليدعها، فأجابه الرسول الكريم بقول الله تعالى:﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ فصلت: ١ - ٤، إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فصلت: ١٣، فرجع عتبة ترجف بوادره، حتى قالوا: لقد رجع إليكم أبو الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به، ثم أقبل عليهم يقول: «والله، لقد سمعت كلاماً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة! وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر». أخرجه ابن إسحاق في المغازي (١/ ١٨٥) من سيرة ابن هشام بسند حسن كما قاله الألباني في تخريج فقه السيرة ص(١١٦).

هكذا فعل القرآن بنفس ذهبت ترفضه وتحارب من نزل إليه، فهو آية الله الخالدة التي تؤثر في نفوس البشر بطريقة ربانية يعلمها منزل هذا الكتاب.

وفي مشهد آخر يخبرنا الله عزوجل عن حالة هذه النفس لدى النصارى اذا سمعوا القرآن الكريم:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٤ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة: ٨٢ - ٨٥، لقد ضرب أولئك القوم المثل الصالح، والقدوة الحسنة، عند استماع القرآن.

ونختم بكلام عائشة رضي الله عنها في الحديث عن الهجرة وذلك عندما أنفذت قريش جوار ابن الدغنة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقالوا له: مر أبا بكر، فليعبد ربه في داره، فليصل، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجدا بفناء داره وبرز، فكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فينظر إليه نساء المشركين وأبناؤهم فيعجبون، وكان أبو بكر رجلا بكاء، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة: قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فأته، فإن أحب أن يقتصر

على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك، فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا كرهنا أن نخفرك، فردها أبو بكر عليه. رواه البخاري ح(٣٩٠٥).

وهنا أذكر نماذج لمن أسلموا بهذا الدين بمجرد سماع القرآن:

النموذج الأول: فهذا جعفر بن أبي طالب في الهجرة للحبشة قال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال جعفر: نعم: فقال النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة». أخرجها ابن إسحاق في المغازي (١/ ٢١١ - ٢١٣)، وقال الأرناؤوط: وهذا سنده صحيح، في تخريج زاد المعاد (٣/ ٢٩). وهذا إقرار منه بالرسالة، وجزم بإسلامه جمع من العلماء، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب.

النموذج الثاني: ويا للعجب من هؤلاء النفر من الجن الذين قص الله علينا قصتهم بقوله: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ الجن: ١ - ٢، قال الحافظ ابن كثير (٨/ ٢٣٧): (يقول الله تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به، وصدقوه وانقادوا له).

النموذج الثالث: وتحكى لنا كتب السيرة قصة رجل من اليمن من قبيلة دوس وهو الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه قدم مكة في العام الحادي عشر من النبوة، فاستقبله أهل مكة قبل وصوله إليها، وبذلوا كل ما بوسهم من أجل صده عن لقاء النبي صلى الله عليه وسلم وسماعه القرآن.يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا (قطنا)؛ فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاما حسنا، فقلت في نفسي، واثكل أمي، والله إني رجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإذا كان حسنا قبلته، وإن كان قبيحا رددته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته، فاتبعته، وقلت له: اعرض علي أمرك، فعرض علي الإسلام، وتلا علي القرآن، فوالله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق. أورده ابن كثير في البداية نقلا عن ابن إسحاق بغير سند وقال ابن كثير: هكذا ذكر ابن إسحق قصة الطفيل مرسلة بلا إسناد، وقال ابن حجر في الإصابة: ذكرها ابن إسحاق في سائر النسخ بلا إسناد.

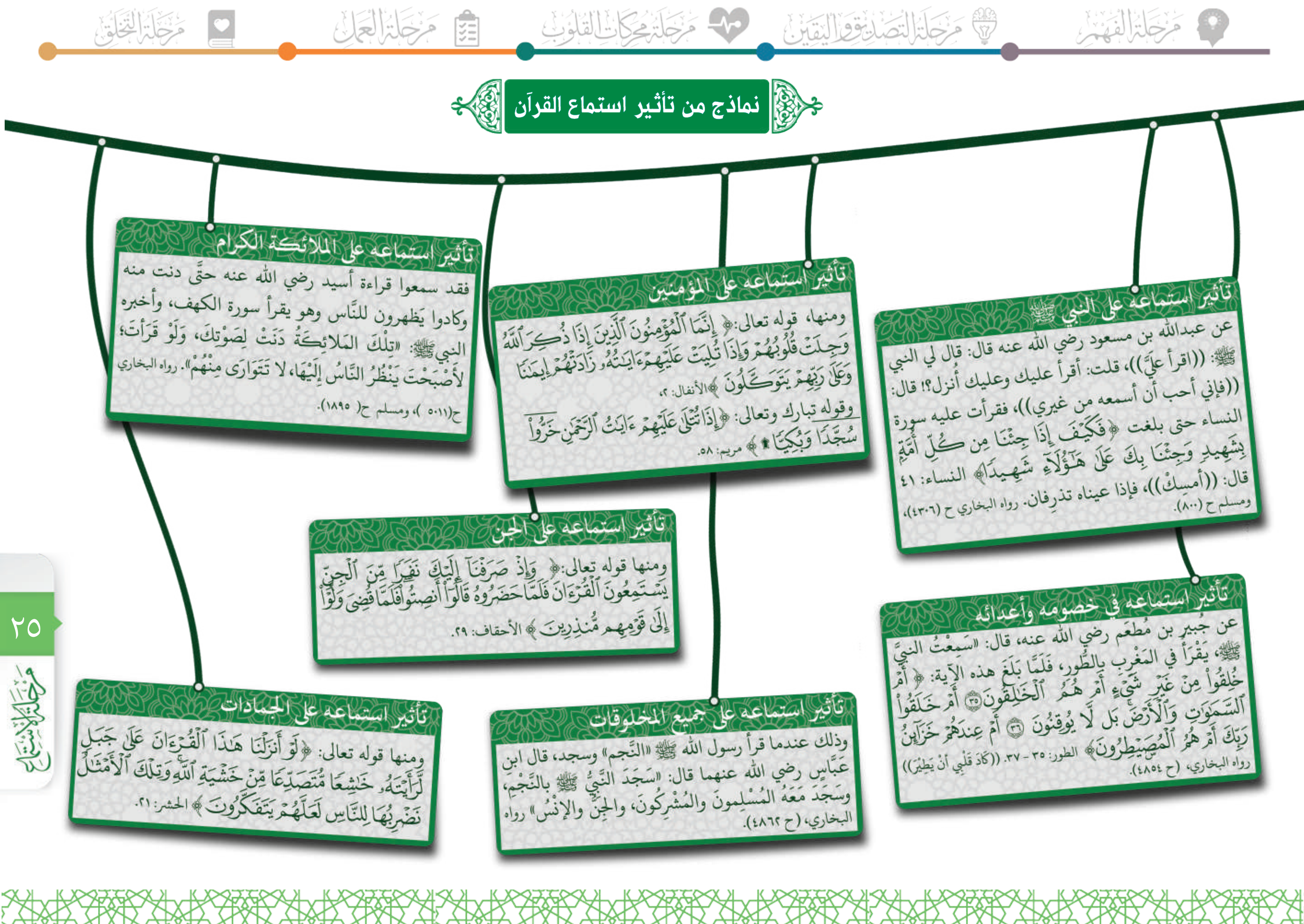


فتاوى وأحكام

يشرع لكل مسلم عند سماع القرآن في غير الصلاة: أن ينصت له إعظاماً واحتراماً له؛ لينال رحمة الله سبحانه، ويتعظ بمواعظه ويعتبر بعبره، وألا ينشغل بغيره بحديث أو ضحك أو غير ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤، وأما في الصلاة فيجب على المأموم أن ينصت عند سماع إمامه يقرأ في الصلاة الجهرية وفي صلاة الجمعة والخطبة والعيدين ونحو ذلك. فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، المجلد الثالث (ص٩٠).

- قراءة القرآن واستماعه من وظائف المؤمن في هذه الحياة، وذلك من أفضل العبادات، والشخص الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب عند سماعه للقرآن من شخص حاضر أو من إذاعة أو من شريط مسجل، كل ذلك فيه أجر وخير كثير إن شاء الله، وعلى المستمع أن يتدبر وأن يخشع عند سماع القرآن وأن يعمل بما فيه، فهذا هو المقصود الأعظم من إنزال القرآن العظيم لا مجرد السماع فقط كما هو حال كثير من الناس. والله المستعان. فتاوى اللجنة الدائمة رقم (٢١١٣٩)
- يجوز للإنسان أن يستمع للقرآن وهو يزاول عمله. فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، المجلد الثالث (ص٨٦).
- لا حرج من تشغيل وسيلة لتلاوة القرآن الكريم حال الخروج من البيت أو النوم، شرط أن لا يكون حوله ما يشوش عليه. الموقع الرسمي للشيخ ابن باز.
- يجوز استماع القرآن على غير طهارة سواء كان الإنسان غير متوضئ أو جنباً أو كانت المرأة حائضاً أو نفساء، حيث لا نعلم دليلاً يمنع من ذلك. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٩/ ٩٧).

يمكن غير المسلم من سماع القرآن لقوله عز وجل:﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ التوبة: ٦.


مرحلة الفهم
مرحلة التصديق واليقين
مرحلة محركات القلوب
مرحلة العمل
مرحلة التخلق
نماذج من تأثير استماع القرآن
تأثير استماعه على النبي ﷺ
عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: ((اقرأ عليَّ))، قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟! قال: ((فإني أحب أن أسمعه من غيري))، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ النساء: ٤١ قال: ((أمسِكْ))، فإذا عيناه تذرِفان. رواه البخاري ح (٤٣٠٦)، ومسلم ح (٨٠٠).
تأثير استماعه على المؤمنين
ومنها، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢،
وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ مريم: ٥٨.
تأثير استماعه على الملائكة الكرام
فقد سمعوا قراءة أسيد رضي الله عنه حتَّى دنت منه وكادوا يَظهرون للنَّاس وهو يقرأ سورة الكهف، وأخبره النبي ﷺ: «تِلْكَ المَلائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ؛ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لا تَتَوَارَى مِنْهُمْ». رواه البخاري ح(٥٠١١)، ومسلم ح(١٨٩٥).
تأثير استماعه على الجن
ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ الأحقاف: ٢٩.
تأثير استماعه في خصومه وأعدائه
عن جُبيرِ بن مُطعَم رضي الله عنه، قال: «سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ، يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بِالطُّور، فَلَمَّا بَلَغَ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ الطور: ٣٥ - ٣٧. ((كَادَ قَلْبِي أنْ يَطِيْرَ)) رواه البخاري، (ح ٤٨٥٤).
تأثير استماعه على جميع المخلوقات
وذلك عندما قرأ رسول الله ﷺ «النَّجم» وسجد، قال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ بالنَّجْمِ، وسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمونَ والمُشْرِكُونَ، والجِنُّ والإنْسُ» رواه البخاري، (ح ٤٨٦٢).
تأثير استماعه على الجمادات
ومنها قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: ٢١.
٢٥
مرحلة الاستماع



نشاط

**استمع لتلاوة مؤثرة وأنصت بقصد الفوز برحمة الله،
وإليك بعض النصائح التي توصلك لذلك:**

- استمع لبعض الآيات الكريمات لقارئ حسن الصوت عن طريق إحدى الوسائل- (ولتكن هذه الآيات التي أمامك من سورة إبراهيم تسمعها بواسطة موقع اليوتيوب للقارئ الشيخ بندر بليلة إمام المسجد الحرام).
- استحضر فضائل السماع السابقة الذكر وآدابه.
- اختر المكان الهادئ الذي لا يوجد به ما يشوش على استماعك.
- اختر الوقت المناسب، وليكن الثلث الأخير من الليل فهو أدعى للسكينة وطمأنينة القلب.
- الإنصات التام عند سماع الآيات.
- ترديد الآيات المؤثرة في القلب.
- استمع واجعل نفسك كأنك المخاطب بها.

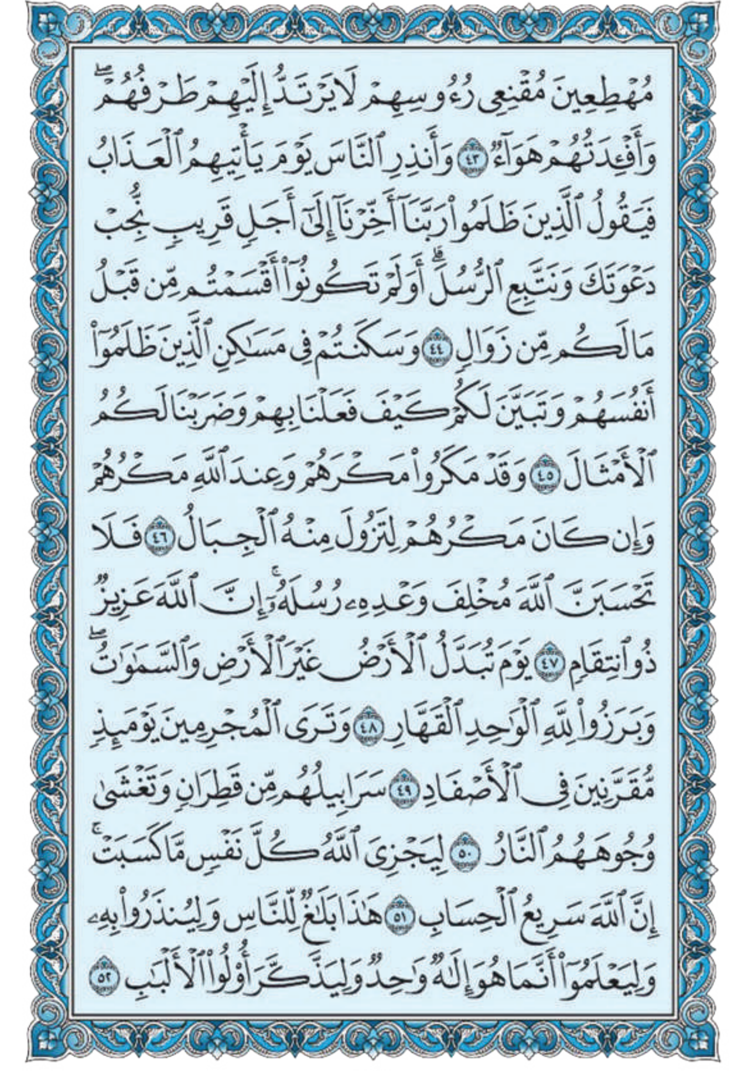
*** وللوصول لمرحلة الفهم والتدبر (سيأتي الكلام عليها لاحقا)**

- حاول أن تقرأ تفسيراً ميسراً للآيات.
- حاول أن تعيش مع هذه الآيات بوجدانك، واعزم على العمل بما سمعت.
- دون الأثر الذي وجدته من استماعها.

....

....

-حاول أن تختار في صلاتك الجهرية مسجدا به إمام حسن الصوت، وأن تطبق ما في هذا النشاط.





أفضل المواقع لاستماع القرآن الكريم:

www.mp3quran.net

المكتبة الصوتية للقرآن الكريم تضم عددا كبيرا من القراء و بعدة روايات و بعدة لغات مع روابط تحميل مباشرة لسور القران الكريم وبجودة عالية بالإضافة إلى الإذاعة و خدمة التورنت وخدمة الاستماع المباشر للقرآن الكريم.

quran.ksu.edu.sa

المصحف الإلكترونى، محاكاة الكترونية للمصحف الشريف، متوفر بسبع عشرة لغة، مع هامش لترجمة معانى القرآن الكريم لأكثر من عشرين لغة، وترجمة صوتية للغتين، وسبعة تفاسير، وتلاوات للقرآن الكريم بصوت العديد من مشاهير القراء مع إمكانية التكرار لتيسير الحفظ على الأطفال والمكفوفين خاص.

4quran.com/arabic

شبكة الذكر الحكيم لتحميل القرآن الكريم، لمجموعة كبيرة من قراء العالم الإسلامى.

althkr.com

استمع للقرآن الكريم براوبط مباشرة، مع إمكانية التحميل بجودة عالية لمشاهير القراء فى العالم الإسلامى.

www.ryadh-quran.net

موقع يضم قراءات متنوعة لأكثر من ٢٥٠ قارئاً على مستوى العالم الإسلامى

مراجع حول استماع القرآن الكريم.

- مدارج السالكين لابن القيم.
- استماع القرآن الكريم(فضائل وأحكام ومخالفات)، أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح.


مرحلة التلاوة


الصفحات
٣٠ - ٣٩



ملخص



أمر الله نبيه ﷺ بتلاوة القرآن فقال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ المزمل: ٤، وقال تعالى مادحاً لمن قام به: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ فاطر: ٢٩.





أهمية تلاوة القرآن وفضلها

٣٢

الترتيل هو الأسلوبُ الحكيم الذي انفردَتْ به تلاوةُ كتاب الله، وتميَّزَت به عمَّا عداها: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل: ٤، وورد فيها فضائل كثيرة من كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ، أرجاها قوله ﷺ: ((من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن: ألف حرف؛ ولام حرف؛ وميم حرف)) رواه الترمذي ح (٢٩١٠)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.



الهدي النبوي في تلاوته

٣٣

جاءت صفة قراءة رسول الله ﷺ والتي ثبتت عنه بالتواتر والأحاديث الصحيحة؛ كما أنه من المؤكَّد أن النبي ﷺ قد علَّم أصحابه القرآن، وحثَّهم على تعلم قراءته.

في كم يتلى القرآن؟

٣٤

ينبغي على المسلم ألا يمر عليه أربعين يومًا دون ختمة للقرآن الكريم، ومن استطاع أقل من ذلك كان أشد استحباباً وقربة.

آداب التلاوة



وهي كثير منها الإخلاص والطهارة والاستعاذة وتحسين الصوت والتدبر وألا يطيل العهد مع القرآن الكريم.

هدي السلف في تلاوته

٣٦

قد سار الصحابة الكرام والسلف الصالح على الهدي النبوي الشريف، وحالهم مع القرآن قراءةُ تدبُّرٍ وخشوع، تُورِث الخشية، وربما غلبهم البكاء فمنعهم من القراءة.

أنواع التلاوة

٣٦

وهي ثلاثة: التحقيق ثم التدوير وأخيراً الحدر، وكلها من الترتيل الذي أمر الله عزوجل به.

الفرق بين التلاوة والقراءة والترتيل

٣٧

القراءة تكون للكلمة الواحدة، والتلاوة لا تكون إلا لكلمتين فصاعدا، وهي خاصة بالقرآن الكريم، أما الترتيل فهو ما نزل القرآن به.

فتاوى وأحكام

٣٧

زاوية جمعت بعض الفتاوى والأحكام المتعلقة بتلاوة القرآن الكريم.






مرحلة التلاوة

بعد أن مر بنا في المرحلة السابقة ما يتعلق بالاستماع لابد بعدها أن ينتقل المسلم إلى مرتبة التلاوة، يتعلم فيها تلاوة كلام الله عزوجل، وهي من المراحل المبينة على القوة العملية، لأنها من العلم التي يجب على كل مسلم تحصيله والاهتمام به، فقد أمر الله نبيه ﷺ بتلاوة القرآن فقال﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ المزمل: ٤، وقال تعالى مادحاً لمن قام به﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ فاطر: ٢٩

آية وتفسير

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ فاطر: ٢٩

هذه آية القراء العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة الفرض والنفل، وينفقون مما رزقهم الله سرا وعلانية، هؤلاء هم الذين يبتغون تحصيل الثواب من الله على طاعاتهم، ويزيدهم الله من فضله، والزيادة هي الشفاعة في الآخرة، إن الله عند إعطاء الأجور غفور للذنوب، وعند إعطاء الزيادة شكور يقبل القليل من العمل الخالص، وفي الآية ما يشمل ثواب قراء القرآن، فإنهم يصدق عنهم أنهم من الذين يتلون كتاب الله ويقيمون الصلاة ولو لم يصاحبهم التدبر في القرآن فإن للتلاوة حظها من الثواب والتنور بأنوار كلام الله، ويثيب عليه الجزيل من الثواب.

أهمية تلاوة القرآن وفضلها

لتلاوة القرآن الكريم أسلوبٌ فريد يمتاز به عن غيره، يحقّق الهدف المنشود مِن تلاوته وترديد آياته مرَّة بعد أخرى حسْبَما دعا له القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ الكهف: ٢٧ ، وقوله جلَّ من قائل: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ المزمل: ٢٠

وهذا الأسلوب الخاصُّ الذي تفرَّد به القرآن الكريم تلاوةً وأداء يعتمد أساسًا على تصحيح الحروف، وإجادة الوقوف، وتدبُّر المعنى، وتفهُّم المغزى، مع لُطف الأداء الصوتي، وجمال النُّطق به، والترديد له.

وقد دعانا الرَّسول ﷺ إلى تمييز القرآن الكريم عن غيره، فقد روى زيدُ بن ثابت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ أنه قال: ((إنَّ الله يحبُّ أن يُقرأ القرآن كما أنزل)) رواه السجزي في الإبانة، وفيه ضعف، وإذا تتبعنا هذه الصورةَ التي أنزل بها القرآن لنتعرَّف على كيفيتها وصفاتها، وجدْنا في كتاب الله ما يدل عليها في قوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ المزمل: ٤، وفي آية أخرى: ﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ الفرقان: ٣٢.

فالترتيل هو الأسلوبُ الأمثل الفريد الذي انفردَتْ به تلاوةُ كتاب الله، وتميَّزَت به عمَّا عداه.

وقراءة القرآن وتلاوته عبادة من العبادات، وهي من الذكر الذي يؤجر القارئ عليه، ولذلك حثنا رسول الله ﷺ على تلاوته ودلنا على عظيم أجره كما سيأتي في فضائله.

وكثرة القراءة للقرآن تورث عند المسلم استمتاع بقراءته ولذة بتلاوته، لذا يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨.

ومما يبين أهمية هذه الخيرية التي رتبت لأهل القرآن الكريم ما رواه عثمان رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». رواه البخاري، ح ٤٧٣٩

إن الهدف من المداومة على قراءة القرآن هي الوصول إلى فهمه وتدبر آياته والعمل بما فيها من أوامر واجتناب ما فيها من نواهي في واقع الحياة حتى نكون من المهتدين إلى طريق الحق. وقد دلنا الله على صفات من هداهم إليه تعالى، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: ١٨











وقد مر بنا فضائل استماع القرآن الكريم، وتالي القرآن الكريم له فضائها وزيادة عليها:

عظم الأجر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ فاطر: ٢٩، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)) رواه البخاري ح(٤٩٣٧)، ومسلم ح (٧٩٨).

- وروى عبد الله ابن عمر: عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». رواه البخاري ح ٧٠٩١. ومسلم ح ٨١٥.
- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها». رواه أحمد ح ٦٧٩٩، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.
- كل حرف بعشر حسنات: وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن: ألف حرف؛ ولام حرف؛ وميم حرف)) رواه الترمذي ح (٢٩١٠)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.
- يشفع لقارئه يوم القيامة فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه)) رواه مسلم ح(٨٠٤).
- مثل قارئ القرآن كالأترجة فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب، وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها)) أخرجه البخاري ح ٤٧٣١، ومسلم ح٧٩٧.

أخي المسلم

العدد التقريبي لحروف القرآن هو (٣٢٣٠١٥ حرفاً) فإن المسلم بقراءته لختمة واحدة في الأيام العادية من الشهر يؤجر عن كل حرف عشر حسنات، أي ثلاثة ملايين ومائتين وثلاثين ألف ومائة وخمسين حسنة، أجر عظيم.



الهدي النبوي في تلاوته

أمر الله نبيّه ﷺ الكريم بتلاوة القرآن الكريم على الناس فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل: ٤؛ أي: اقرأه بتؤدة وطمأنينة وتدبر؛ وأكَّد الله ذلك بقوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ الإسراء: ١٠٦.

وقد جاءت صفة قراءة رسول الله ﷺ والتي ثبتت عنه بالتواتر والأحاديث الصحيحة؛ فهذا أنس رضي الله عنه سُئِل: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت قراءته مدًّا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم؛ يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم». رواه البخاري ح(٥٠٤٦).

ومن المؤكَّد أن النبي ﷺ قد علَّم أصحابه القرآن، وحثَّهم على تعلم قراءته؛ فلقد ثبت قوله: ((مَن سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل، فليقرأه على قراءة ابن أمِّ عبد))، رواه أحمد ح (٤٢٥٥)، وإسناده صحيح. وقال ﷺ آمرًا الناس بتعلم قراءة القرآن، وبتلقِّيها عن المتقنين الماهرين ((خُذُوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وسالمٍ، ومعاذ، وأبي بن كعب))، رواه البخاري ح(٣٨٠٨).

وقد وصفت عائشة قراءته ﷺ؟ فقالت: (كان يقرأ السُّورة حتى تكونَ أطول مِن التي هي أطولُ منها) رواه مسلم ح (٧٣٣) ، وسُئلَت كذلك السيِّدة أمُّ سلمة رضي الله عنها نفسَ السؤال فقالت: (كان يُفسِّرها حرفًا حرفًا) رواه الترمذي ح(٢٩٢٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقد دلَّت الآثار المرويَّةُ على أنَّ عناية الرسول ﷺ بحُسْن الأداء، وجمال القراءة فيجْمع فِكرَه وقلبَه في التلاوة؛ فقال ﷺ: « زينوا القرآن بأصواتكم» رواه البخاري معلقا ح (٧٥٤٤) وهو صحيح موصول، وهذا أبو ذر رضي الله عنه، الذي روى: أن الرسول ﷺ قام في ليلةٍ يُردِّد آيةً واحدة حتى الصباح؛ وهي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ المائدة: ١١٨ رواه البيهقي في السنن الكبرى للبيهقي ح(٤٧١٧).

آية وتفسير

قال تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ الإسراء: ١٠٦، وقال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ المزمل: ٤، الآيتان تدلان على التأني والتمهل في تلاوة القرآن.يقول القرطبي: « على مكث أي على ترسل في التلاوة وترتيل، فيعطي القارئ القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن من غير تلحين ولا تطريب مؤدٍّ إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان". الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/٣٤٠.

ويقول الفخر الرازي: « السنة أن يقرأ القرآن على الترتيل، لقوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ المزمل: ٤

والترتيل هو أن يذكر الحروف والكلمات مبينة ظاهرة، والفائدة فيه أنه إذا وقعت القراءة على هذا الوجه، فهم من نفسه معاني تلك الألفاظ، وأفهم غيره تلك المعاني، وإذا قرأها بالسرعة لم يفهم ولم يفهم، فكان الترتيل أولى». مفاتيح الغيب للرازي ٣٨/١.

في كم يتلى القرآن؟

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أنه سأل النبيَّ ﷺ: في كل يُقرأ القرآن؟ قال: في أربعين، ثم قال: في شهر، ثم قال: في عشرين، ثم قال: في خمس عشرة، ثم قال: في عشرٍ. رواه أبو داود، ح/١٣٩٥، قال الألباني صحيح ، وعنه رضي الله عنهما قال: ((قال رسول الله ﷺ: إقرأ القرآن في شهر، قلت إني لأجد قوة حتى قال: إقرأه في سبع ولا تزد على ذلك)) رواه البخاري: ح ٤٧٦٧، ومسلم: ح ١١٥٩.و عنه رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه. رواه الترمذي: ح ٢٩٤٦.وهو صحيح.

وعلة النهي الواردة في الحديث لا علاقة له بالتلاوة؛ بل تتعلق بعدم تدبر معاني الآيات وعدم فهمها فهماً صحيحاً بسبب الإسراع في القراءة.

وقد ورد عن جمع كبير أنهم كانوا يختمون القرآن في اليوم الواحد مرة واحدة أو أكثر، فقد ورد ذلك عن عثمان وتميم الداري وعبد الله بن الزبير وغيرهم رضي الله عنهم، وعن كثير من التابعين إلى يومنا هذا.

وهو محمول على أن ذلك من باب إكرام الله سبحانه وتعالى لهم من حيث حصول البركة في أوقاتهم وأعمالهم، فقد يعملون أعمالاً كثيرةً في زمن يسير.

وعليه؛ ينبغي على المسلم ألا يمر عليه أربعين يوما دون ختمة للقرآن الكريم، ومن استطاع أقل من ذلك كان أشد استحباباً وقربة، لذا يقول الإمام النووي: « وقد كانت للسلف عادات مختلفة فيما يقرؤون كل يوم بحسب أحوالهم وأفهامهم ووظائفهم؛ فكان بعضهم يختم القرآن في كل شهر، وبعضهم في عشرين يوماً، وبعضهم في عشرة أيام، وبعضهم أو أكثرهم في سبعة، وكثير منهم في ثلاثة، وكثير في كل يوم وليلة، وبعضهم في كل ليلة، وبعضهم في اليوم والليلة ثلاث ختمات، وبعضهم ثمان ختمات، وهو أكثر ما بلغنا، والمختار أنه يستكثر منه ما يمكنه الدوام عليه، ولا يعتاد إلا ما يغلب على ظنه الدوام عليه في حال نشاطه وغيره، هذا إذا لم تكن له وظائف عامة أو خاصة يتعطل بإكثار القرآن عنها فإن كانت له وظيفة عامة كولاية وتعليم ونحو ذلك، فليوظف لنفسه قراءة يمكنه المحافظة عليها مع نشاطه وغيره، من غير إخلال بشيء من كمال تلك الوظيفة، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف والله أعلم» الأذكار ص٥٩.

تحزيب القرآن لتلاوته

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حِزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل» رواه مسلم، ح/٧٤٧.

وعن أوس بن حذيفة الثقفي، وفيه:... فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: يا رسول الله: لقد أبطأت عنا الليلة، قال: إنه طرأ عليّ جزئي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتمه، قال أوس: فسألتُ أصحابَ رسول الله ﷺ: كيف تُحَزِّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المُفصَّل وحده. رواه أبو داود، ح/١٣٩٣، وحسنه العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/٢٢٥.

وحديث أوسٍ يدل على أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يحزبون القرآن سوراً تامة، ولا يحزبون السورة الواحدة، وأنهم كانوا يحزبونه سبعة أحزاب، ويختمونه في سبعة أيام. ففي اليوم الأول ثلاث سور، من الفاتحة حتى النساء، وفي اليوم الثاني خمس سور، من المائدة حتى التوبة، وفي اليوم الثالث سبع سور، من يونس حتى النحل، وفي اليوم الرابع تسع سور، من الإسراء حتى الفرقان، وفي اليوم الخامس إحدى عشرة سورة، من الشعراء حتى الصافات، وفي اليوم السادس ثلاث عشرة سورة، من (ص) حتى الحجرات، وفي اليوم السابع، من (ق) حتى سورة الناس.

آداب التلاوة

١- الإخلاص لله سبحانه فإن النبي ﷺ قال: (إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعوا به رجل جمع القرآن، ... فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلتُ على رسولي؟! قال: بلى يارب. قال: فماذا عملت بما علمت؟! قال: كنت أقومُ به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك - أخذت أجرك في الدنيا. أخذت أجرك في الدنيا ثم يُسحب به إلى النار) رواه الترمذي (١٥٦٧)، وقال صحيح الإسناد.

٢- أن يتلوَه على طهارة مع التسوك لأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: (إن أفواهكم طرق للقرآن فطيّبوها بالسواك).

٣- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ النحل:٩٨. والمعنى: إذا أردت القراءة.

٤- ترتيل القرآن: لأن الله قال: ورتل القرآن ترتيلاً . ونعتَت أم سلمة قراءة رسول الله ﷺ بأنها قراءة مفصّلةً حرفاً حرفاً.

٥- الاجتماع لتلاوته ومدارسته من السنن والمستحبات العظيمة: كما قال النبي ﷺ: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده).

٦- تحسين الصوت بالقرآن لقوله ﷺ: (حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً)، وكذلك حديث: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يتغنى به).

٧- أن يصبر الشخص الذي يجد صعوبة في التلاوة عليها كما قال النبي ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران). رواه البخاري (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨).

٨- البكاء عند تلاوة القرآن الكريم لقوله تعالى ممتدحاً المؤمنين: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ وقال أحد الصحابة: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَل) يَعْنِي يَبْكِي. رواه النسائي.

٩- أن يتدبر عند تلاوته وهو الثمرة الحقيقية للتلاوة، وقد قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ص:٢٩

١٠- سجود التلاوة وذكر شيخ الاسلام رحمه الله أن الأفضل أن نكون في حال القيام، لأن قول الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ الإسراء:١٠٩ الخرُّ يكون من الوقوف أو القيام.

١١- استقبال القبلة مع هيئة الأدب ما أمكنه؛ لكن لو جلس متخشعاً كان أفضل من أن يجلس متكئاً على جنبه مثلاً.

١٢- أن لا يُطيل العهد بالقرآن فتمر عليه سنوات لا يختم القرآن، بل لابد أن يكون له ورد يومي كما مر.

هدي السلف في تلاوته

قد سار الصحابة الكرام والسلف الصالح على الهدي النبوي الشريف، ولا زلنا نرى اليوم من يسير عليه، فهل من مشمر لتلاوة كتاب الله والمحافظة عليها.

وحالهم مع القرآن قراءةُ تدبُّرٍ وخشوع، تُورِث الخشية، وربما غلبهم البكاء فمنعهم من القراءة.

لقد حرص أكثر أهل العلم من السلف على ختم القرآن أسبوعياً، قال أوس بن حذيفة: سألتُ أصحابَ رسول الله ﷺ: كيف تُحزِّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاثة عشرة، وحزب المفصَّل وحدَه. رواه أبو داود، ح/١٣٩٣، وحسنه العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/٢٢٥.

ومنهم من استحب أن يقرأ القرآن قراءة متأنية مترسلة حتى يكون ذلك أدعى لحضور القلب، وإعمال الفكر، وتدبر معاني الآيات التي يقرؤها، بغض النظر عن المدة التي يتم فيها الختم، فقد تطول وقد تقصر، قال زيد بن ثابت: (لأن أقرأه في عشرين، أو نصف شهر، أحب إلي لكي أتدبره وأقف عليه) أخرجه مالك في الموطأ ١/٢٠٠.

وقيل لابن عباس: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث، قال: لأن أقرأ سورة البقرة في ليلة أتدبرها، وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله حدراً كما تقول، وإن كنت لا بد فاعلاً؛ فاقرأ ما تسمعه أذنك، ويفهمه قلبك. شرح الزرقاني ٢/١٣.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: دخلَت عليَّ امرأةٌ، وأنا أقرأُ سورة هود، فقالت لي: يا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة هود، والله إني فيها منذ ستة أشهر، وما فرغت من قراءتها. صفة الصفوة ٤/٤٤٠.

وقرأ مجاهد بن جبر على عبد الله بن عباس بضعاً وعشرين ختمة، ويقال ثلاثين عرضة، ومن جملتها ثلاث سأله عن كل آية فيم كانت. غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٩٣.

وبعضهم قرأه في يوم لحصول الأجر الكثير فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «جمَعْتُ القرآن فقرأْتُ به في كل ليلة...» رواه أحمد، ح/٦٢٢٩، قال الألباني صحيح.

وكانت حالهم عموما كثرة التلاوة آناء الليل وأطراف النهار.

أنواع التلاوة





التحقيق: وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف، وإخراج بعضها من بعض، بالسكت والترسل واليسر والتؤدة، وهو أكثر المراتب اطمئناناً، ويؤخذ به في مقام التعليم. ويقرأ بها من القراء

الشيخ المنشاوي
وعبد الباسط
ومحمد رفعت.

التدوير: وهو التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن مد المنفصل، ولم يبلغ فيه إلى الإشباع، وهو مذهب سائر القرآء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء. ويقرأ بها الشيخ

سعد الغامدي
والمعيقلي
وغيرهم.

الحدر: إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ وتمكن الحروف.
ويقرأ بها

الشيخ عبد الودد حنيف
وسعود الشريم،
وغيرهم.

والترتيل يعمُّها كلها إذ لو كان مرتبة مستقلة لكان التدوير والحدر ليسا ترتيلاً، وعند ذلك لا يكونا مما أمرنا الله عزوجل به في قوله تعالى:﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ المزمل: ٤. وهذه المراتب يتنقل بها المسلم حسب موضع تلاوته، ففي الصلاة حتاج التدوير، وفي تلاوة الورد أنسب التحقيق لأنه أدعى للتدبر، وفي الأوقات الفاضلة كرمضان تأخذ مرتبة الحدر.



اختلف في الأفضل هل الترتيل وقلة القراءة، أو السرعة مع كثرة القراءة؟

والصحيح بل الصواب ما عليه معظم السلف والخلف، وهو أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القرآن فهمه والتفقه فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه، وقد جاء ذلك منصوصا عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له أيضا في القراءة والترتيل والتؤدة؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال. النشر في القراءات العشر (١/ ٢٠٩).

الفرق بين التلاوة والقراءة والترتيل

القراءة تكون للكلمة الواحدة، والتلاوة لا تكون إلا لكلمتين فصاعداً، يقال قرأ فلان اسمه ولا يقال تلا اسمه وذلك أن أصل التلاوة اتباع الشيء الشيء، يقال تلاه إذا تبعه فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضا، ولا تكون في الكلمة الواحدة إذ لا يصح فيه التلو.

القراءة أعم من التلاوة فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة، لا يقال تلوت رقعتك وإنما يقال في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك اتباعه، ويفهم منه أن التلاوة خاصة بالقرآن الكريم مع الاتباع وليست القراءة كذلك، وفرق التهانوي بين القراءة والتلاوة والأداء: أن الأداء الأخذ عن المشايخ، والقراءة تطلق عليهما معا أي الأداء والتلاوة إذ هي أعم منهما.

والترتيل مصدر مأخوذ من قولهم رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضا على مكث وتفهم من غير عجلة وهو الذي نزل به القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ الفرقان: ٣٢

. انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٦٨)، الفروق اللغوية للعسكري(ص: ١٤٠).

فتاوى وأحكام

- قراءة القرآن عبادة يُثاب عليها القارئ وإن لم يتم السورة، فالقارئ يؤجر على كل حرف يقرؤه.
- يجوز للقارئ أن يقرأ القرآن قاعداً أو واقفاً أو ماشياً أو مضطجعاً، كل ذلك جائز، لأن الله تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ آل عمران: ١٩١.
- يستحب أن يتلو وهو على طهارة؛ فإن قرأ بدونها جاز؛ لكنه يحرم على المحدث (الجنب أو الحائض أو النفساء) مس المصحف وحمله، سواء حمله بعلاّقته أو بغيرها، وسواء مس نفس الكتابة أو الحواشي أو الجلد.
- إذا كان القارئ يقرأ فمرَّ على قوم يستحب أن يقطع القراءة ويسلم عليهم، وكذا أن يرد السلام، ثم يرجع إلى القراءة ولو أعاد التعوذ كان حسناً.
- أفضل التلاوة ما كان في الصلاة، وتطويل القيام في الصلاة أفضل من تطويل السجود وغيره.
- قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب؛ لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر. إلا إن زاد خشوع القارئ في القراءة عن ظهر قلب؛ فتكون أفضل في حقه.
- يَحْرُمُ وَضعُ شَيْءٍ على المُصحَفِ كَخُبزٍ وكتاب علم ونحوها؛ لأنَّ فِيهِ امتِهَاناً. ولا تمد الرِّجل إلى جهة المصحف.
- لا يجب على المرأة أن تستر شعرها عند قراءة القرآن، ولكن من الأدب فعل ذلك.



حاول تلاوة هذه الآيات الكريمات.
وإليك بعض النصائح التي توصلك لحق تلاوتها:

- اتل الآيات بتحسين صوتك قدر ما تستطيع مع مراعاة أحكام التجويد.
- استحضر فضائل التلاوة السابقة الذكر وآدابه.
- اختر المكان الهادئ الذي لا يوجد به ما يشوش على تلاوتك.
- اختر الوقت المناسب، وليكن في قيام الليل فهو أدى للسكينة وطمأنينة القلب.
- ترديد الآيات المؤثرة في القلب.
- اتل واجعل نفسك كأنك المخاطب بها.
- حاول أن تعيش مع هذه الآيات بوجدانك، واعزم على العمل بما سمعت.

دون الأثر الذي وجدته من تلاوتها:

....

....

....

....


الجزء الثاني والعشرون — سورة الأحزاب

يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا
﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ
وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ
لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا
ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾

٤٢٧

أهم المقارئ الإلكترونية



maqraa.islamacademy.net

جمعية الأكاديمية الإسلامية الإلكترونية لتحفيظ القرآن الكريم.

هي جمعية إلكترونية مرخصة من وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد تهدف إلى إيصال القرآن الكريم وتعليمه على الوجه الصحيح لجميع المسلمين حول العالم حفظاً وتلاوةً.




maqraa.com

مقرأة الحرمين

هي مشروع عالمي لتعليم القرآن الكريم من الحرمين الشريفين للمسلمين فى شتى أنحاء العالم مشافهة لمن زار الحرمين الشريفين وعن بعد عبر الانترنت لمن كان فى بلده.




www.quranschool.org.sa

المقرأة الإلكترونية العالمية.

هي إحدى الأنشطة والأعمال التابعة للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، وتهتم بتعليم وإقراء القرآن الكريم وعلومه وتعليم التجويد للمعاهد والمقارئ القرآنية وأيضاً الأفراد في كافة أنحاء العالم.





www.qj.org.sa

مشروع المقرأة الإلكترونية

من أحد أنشطة معهد الإمام الشاطبي والذي يقوم على تقديم دورات قرآنية في دروس تحسين التلاوة، ودروس التجويد من خلال نافذة المقارئ الإلكترونية.






e-maqraa.com

المقرأة الإلكترونية العالمية للنساء

هي مشروع عالمي يعمل على تقديم مناهج متخصصة لحفظ القرآن الكريم وتدبره، وتحسين تلاوته، من خلال غرف صوتية إلكترونية؛ تتوافد عليها الطالبات من بيوتهن، ويُشرِف عليه جِلة من المشايخ والشيخات والمدرسات.

مراجع حول استماع القرآن الكريم.

- التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم.
- أخلاق أهل القرآن، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠)، تحقيق: محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار الكتب العلمية.
- أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، المكتبة المكية - دار البشائر الإسلامية.






مرحلة الحفظ



أولاً: حفظه في الصدور

- أهميته حفظه وفضائله
- عناية الأمة بحفظ القرآن
- القدر الواجب من حفظه
- توصيات وأحكام لمن أراد حفظ القرآن
- أفضل الطرق المعينة لحفظ القرآن

ثانياً: حفظه في السطور: في العهد النبوي الشريف

- عهد الصديق رضي الله عنه
- عهد عثمان رضي الله عنه
- عهد التابعين ومن بعدهم من بعدهم
- التعريف بالقراءات العشر وقرائهم ومواطن شهرة قراءتهم، والفرق بينها وبين الأحرف السبعة.
- فتاوى وأحكام متعلقة بحفظ القرآن الكريم



ملخص



﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، كما حفظ أهله من أعدائهم.



أولاً: حفظه في الصدور

٤٢

كان النبي ﷺ أول حافظ، ثم حفظ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن وتسابقوا في ذلك، وصار حفاظه بالغين عدد التواتر في كل مصر، بما يبعد عنه أدنى شبهة الزيادة أو النقص أو التحريف.

أهمية حفظه وفضائله

٤٥

قد خص بكثير من الفضائل، ومن أعظمها قوله ﷺ: ((يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها)). رواه أبو داود ح (١٤٦٤)، وهو صحيح (٢٢٤٠).

عناية الأمة بحفظ القرآن



بقدر ما يحرص المسلم على الحفظ منه يعظم قدره في النفوس، وهناك كثير من صور الضبط والإتقان في حفظه على مر العصور والأزمان.

القدر الواجب من حفظه

٤٦

حفظ القرآن فرض على الكفاية؛ ويجب على كل مسلم أن يحفظ سورة الفاتحة مع سورة أو آية معها، ثم يحرص المسلم على أن يحفظ بعض السور التي ورد فيها فضل كبير كسورة الإخلاص والمعوذتين، وغيرها.


توصيات وأحكام لمن أراد حفظ القرآن
سواء كانت قبل الحفظ أو في أثنائه أو بعده
٤٦
أفضل الطرق المعينة لحفظ القرآن
سواء كانت بكثر الاستماع أو التلاوة أو الكتابة.
٤٧
ثانياً: حفظه في السطور
في العهد النبوي الشريف، وكانت فيه زيادة التّوثيق للقرآن، وكتب على الأحرف السّبعة، ولم يكن مجموعا في مصحف واحد.
٤٧
عهد الصديق رضي الله عنه
وجمعه على أدّق وجوه البحث والتّحري والإتقان، وكان بالأحرف السّبعة، واتفق العلماء أنّه كتب منه نسخة واحدة.
٤٨
عهد عثمان رضي الله عنه
وتم نسخه عدة نسخ، وكتابته بطريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة، وجردت المصاحف من كل ما ليس قُرْآنا.
٤٩
عهد التابعين ومن بعدهم
ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان وضعت نقاط الإعراب: ثم في خلافة عبد الملك بن مروان وضع نقط الحروف والتمييز بينها، ثم في بداية الدولة العباسية وضعت الحركات المعروفة.
٥٠
الأحرف السبعة
التعريف بالقراءات العشر وقرائهم ومواطن شهرة قراءتهم، والفرق بينها وبين الأحرف السبعة.
٥١
فتاوى وأحكام متعلقة بحفظ القرآن الكريم
ومنها يجوز الصلاة بأي رواية من القراءات المتواترة، ولا يجوز بغيرها من الشاذة أو من فقدت أحد أركان القراءة.
٥٢



مرحلة الحفظ

أخي المسلم: بعد أن لازمت استماع القرآن الكريم وتلاوته؛ لابد أن يكون لك شيء من حفظه، وما زال كتاب الله من يوم أن نزل محفوظاً في صدور الرجال ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ العنكبوت: ٤٩

كسبب من الأسباب التي حفظ الله بها كتابه الكريم؛ إذ تكفل حفظه بنفسه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، ليكون حجة على المعاندين ومحجة للسالكين، وهذا من التحدي لأنه لو كان من قول البشر لتطرقت إليه الزيادة والنقصان ولا تشمل على الاختلاف ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢.

ووكل حفظ الكتب السابقة للأحبار والرهبان﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ المائدة: ٤٤ ، ولكن ماذا فعلوا ؟ قصروا وخانوا الأمانة، ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ النساء: ٤٦، فعاقبهم ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ المائدة: ١٣

آية وتفسير

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩

أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم. تفسير السعدي (ص: ٤٢٩)

أولاً: حفظه في الصدور

صار حفاظه بالغين عدد التواتر في كل مصر، بما يبعد عنه أدنى شبهة الزيادة أو النقص أو التحريف؛ لذا يقول تعالى:﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢

كان النبي ﷺ أول حافظ وقارئ للقرآن الكريم لما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله يُعالج من التنزيل شدَّةً، كان يحرك شفتيه، فأنزل الله عزوجل﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ القيامة: ١٦ - ١٧، قال: جَمْعه في صدرك ثم تقرأه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ القيامة ١٨ قال: فاستمع وأنصت، ثم إن علينا أن تقرأه قال: «فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه. رواه البخاري، ح(٥)، ومسلم ح(٤٤٨).

حفظ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن وتسابقوا في ذلك، ومن أولئك الخلفاء الأربعة، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة وحفصة وأم سلمة رضوان الله عليهم، وغيرهم كثير. الإتقان في علوم القرآن ١/٩٦-٩٧.

وإن من أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله، هي حفظ كتابه الكريم، كيف لا وهو كلام الله، وأي كلامٍ أعظم من كلام الله؟، وأيُّ عملٍ أشرف من حفظ كتاب الله؟..... وقد شرَّف الله أمة الإسلام بخصيصة لم تكن لأحد من أهل الملل قبلهم، وهي أنَّهم يقرءون كتاب ربهم عن ظهر قلب، قال وهب بن منبه: «أمة أناجيلهم في صدورهم». رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٧٩/١).

أهمية حفظه وفضائله

من أراد أن يحفظ القرآن أو شيئا منه لابد أن يكثر من تلاوته والاستماع عليه؛ وعليه فإن ما مر من فضائل لاستماع القرآن وتلاوته تنطبق على حافظه، وقد خص كذلك بكثير من الفضائل كان منها:

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٩

قال القاسمي: « أي العلماء به وحفاظه».

حافظ القرآن رفيع المنزلة عالي المكانة في الدنيا والآخرة؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة،...)) رواه مسلم ح(٦٧٣). وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال (من استعملت على أهل الوادي؟)، فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم -ﷺ- قد قال: ((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين)) رواه مسلم ح(٨١٧).

حافظ القرآن مقدم على غيره بعد مماته؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: ((أيهم أكثر أخذا للقرآن))، فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد) رواه البخاري ح(١٣٤٣).

إكرام حامل القرآن من إجلال الله وتعظيمه؛ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)) رواه أبو داود ح(٤٨٤٥)، وهو صحيح.

ارتقاؤه في درجات الجنة؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها)) رواه أبو داود ح(١٤٦٤)، وهو صحيح (٢٢٤٠). ((صاحب القرآن))، حافظه عن ظهر قلب.

الغبطة الحقيقية تكون في حفظ القرآن والعمل به؛ فعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)) رواه البخاري ح(٧٥٢٩)، ومسلم ح(٧١٥).

شفاعة القرآن لأهله؛ فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: ((اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه)) رواه مسلم ح(٨٠٤).

حفظ القرآن ينجي صاحبه من النار؛ فعن عقبة بن عامر قال: إن رسول الله ﷺ قال: ((لو أن القرآن جعل في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق) رواه أحمد ح(١٧٣٦٥)، وهو صحيح، المراد بالإهاب: القارئ الذي وعاه، وهو أقرب الأقوال.

شرف منزلته فهو مع الملائكة؛ فعن عائشة عن النبي ﷺ قال: (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران) رواه البخاري ح(٤٩٣٧).

عناية الأمة بحفظ القرآن

أشرفُ محفوظٍ كتابُ اللهِ، وبقدر ما يحرص المسلم على الحفظ منه يعظم قدره في النفوس، ولهذا كان صحابة النبي ﷺ يعظّمون الحافظ لسورتي البقرة وآل عمران، فكيف بحافظ القرآن كاملاً؟! قال أنس رضي الله عنه: (كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ في أعيننا)، وكانوا يتنادون في يوم اليمامة: (يا أصحاب سورة البقرة) حتى فتح الله عليهم. تفسير ابن كثير ٤٧/١. وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: (من تعلّم القرآن عظمت قيمته). صفة الصفوة لابن الجوزي ١٥١/٢.

قال ابن جماعة (يبتدئ أولاً بكتاب الله فيتقنه حفظاً، ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه، فإنه أصل العلوم وأمُّها وأهمّها. تذكرة السامع والمتكلم؛ ص٦٢. وهذا الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي يقول: (لم يدعني أبي أشتغل في الحديث، حتى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان الرازي، ثم كتبت الحديث) سير أعلام النبلاء ٢٦٥/١٣.

وقد ذكر الإمام الشافعي أنه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين. صفة الصفوة ١٤٨/٢. وذُكِر في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية أنه ختم القرآن صغيراً. الكواكب الدرية لمرعي الكرمي. وذكر السخاوي عند ترجمة الإمام ابن حجر رحمه الله أنه حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين. (الضوء اللامع ٣٦/٢). وغيرهم الكثير.

وهناك كثير من صور الضبط والإتقان في حفظه فقد قال مجاهد (صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرأ سورة البقرة فما ترك واواً ولا ألفاً) سير أعلام النبلاء ٤٢٥/٣. وقال أبو بكر بن عياش رحمه الله: (كان الأعمش يعرض القرآن، فيمسكون عليه المصاحف فلا يخطىء في حرف) سير أعلام النبلاء ٢٣٥/٦.

لقد حفظ القرآن كما نزل بلسان العرب، ولم يكن ذلك الحفظ مخصوصاً بالعرب دون غيرهم من المسلمين، فمئات الألوف ممن يحفظونه اليوم ليسوا من أهل العربية، بل لربما حفظه من لا يكاد يعرف شيئاً عن لغة العرب ومعاني ألفاظها، فيقرؤه بلسان عربي مبين، كما يقرؤه العربي سواء بسواء، وما زلنا نسمع ونرى في هذه الأمة من يحفظون كلام الله تعالى، ويسطرون أروع القصص في حفظه، وأعجب النماذج في إتقانه.

القدر الواجب من حفظه

حفظ القرآن فرض على الكفاية؛ بمعنى أنه ينبغي أن يكون من أفراد الأمة عدد كاف ممن يحفظ القرآن ويتقنه؛ ليؤم الناس في صلاتهم، ويعلم أبناءهم ونحو ذلك، لكن هناك مقدار واجب على كل مسلم من حفظ القرآن

١. فيجب على كل مسلم أن يحفظ من القرآن ما يقيم به صلاته، وهو حفظ سورة الفاتحة مع حفظ سورة أو آية معها، قال الإمام أحمد بن حنبل: (الذي يجب على الإنسان من تعليم القرآن والعلم، ما لا بدّ منه في صلاته، وإقامة دينه، وأقل ما يجب على الرجل من تعليم القرآن فاتحة الكتاب وسورتان. طبقات الحنابلة لأبي يعلى الحنبلي ص٧٥ . ويجب على من حفظها أن يحسن قراءتها بدون لحن كما قرأها النبي ﷺ وأخذ عنه.

٢. ثم يحرص المسلم على أن يحفظ بعض السور التي ورد فيها فضل كبير كسورة الإخلاص والمعوذتين والكافرون وغيرها من قصار السور، وكذلك بعض الآيات كآية الكرسي وأواخر سورة آل عمران، وأوائل سورة الكهف وغيرها.

٣. وأما حفظ كامل القرآن فيبقى على الاستحباب والفضل لا على الإيجاب والفرض.

توصيات وأحكام لمن أراد حفظ القرآن

١ قبل الحفظ

-البدء بأعظم أمرين وهما **الإخلاص والاستعانة بالله**، لقوله تعالى﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥

- **الصُّحبة القرآنية** يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ طه: ٣٠ - ٣٤.

- **الجِد والصبر والاجتهاد؛** فالقرآن نزل على نبينا ﷺ على مدار ٢٣ عامًا لا يمكن أن يُحفَظ في أيام، ولا أسابيع.

-**عدم التفكير المسبق بالفشل؛** يقول الله تعالى﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ القمر: ١٧

-**أن ينبَعَ الدافعُ لحفظ القرآن مِن داخلك أنت.**

٢ أثناء الحفظ

- **التدرب على القراءة بالحدر،** وهي القراءة السريعة بدون الإخلال بأحكام التجويد، وهي أكبر معين على الإنجاز.

- **احترام الوقت وتقديره،** وحُسن استغلال الثواني قبل الدقائق، فمَن عرَف قيمة الوقت، عرَف فيما يُنفقه.

- **الاستغفارُ والتوبة والتذلُّل** بين يدَي الله عز وجل عند العجز أو الخطأ أو التقصير في الحفظ.

- **يجب أن يكون حفظك على شيخ** لتصحيح التلاوة .

- **الحفظ يكون من سورة الناس إلى سورة البقرة،** لأنه أيسر، وبعد حفظك للقرآن تكون مراجعتك من البقرة إلى الناس .

- **الحفظ يكون من مصحف موحد** في الطبعة ليكون معينا على رسوخ الحفظ وسرعة الاستذكار لمواطن الآيات وأواخر الصفحات وأولها .

- **التكرار، ثم التكرار، ثم التكرار،** هو سبيلُك الوحيد للإتقان.

قراءة تفسير مختصر للآية أثناء حفظها؛ فهو مما يُعين على استيعاب الآيات وربط أول الآية بآخرها، وعدم الخَلْط بين المتشابهات.

٣ بعد الحفظ

- **إدراك أن الحفظ والمراجعة** لا بد منها، ولا بد من جعل جدول يومي لها.

- **المراجعة والتثبيت بسرد الآيات غيبًا،** قال رسول الله ﷺ: ((تعاهَدوا القرآنَ؛ فوالذي نفسي بيده، لهو أشدُّ تفصِّيًا مِن من الإبل مِن عُقُلِها))؛ رواه البخاري ح[٥٠٣٣].

- **المحافظة على ورد التلاوة:** فالتلاوة هي مفتاح الحفظ، وِرد الاستماع: وهو أكبر مُعِين على الحفظ بالنطق الصحيح.

- **الصلاة بالمحفوظ،** وعدم الخشية من النسيان أو الخطأ؛ فالصلاةُ هي أكبر معين على تثبيت الحفظ، والتلذذ بالآيات المحفوظة، والخشوع بين يدَي الله، وأفضل الصلاة صلاة النافلة، وأفضلها ركعات في جوف الليل.

- **ولا ينبغي لمن يحفظ شيئًا من** كتاب الله أن ينساه، وقد جاء الوعيد في عدة أحاديث ضعيفة لمن حفظ ثم نسي، لكن لاشك أنه من الحرمان، والله المستعان.

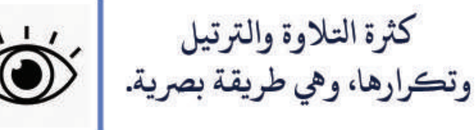


أفضل الطرق المعينة لحفظ القرآن

بعد أن اكتحلت عينك أخي القارئ الكريم بما ورد من فضائل لحفظ القرآن الكريم واتقانه لعلك تتساءل عن الطريقة المعينة لحفظ القرآن، والطرق في ذلك كثيرة متعددة، وهي لا تخرج من هذه الأنواع:



١ - بكثرة الاستماع، وهي طريقة تعتمد على السمع.



٢ - كثرة التلاوة والترتيل وتكرارها، وهي طريقة بصرية.





٣ - الكتابة، هي طريقة استخدمت قديما في تمكين المحفوظ ولا زالت الى اليوم في محاضر موريتانيا.

ثانياً: حفظه في السطور



في العهد النبوي

ما كان في العهد النبوي: قد اتّخذ النبي ﷺ عدداً من كتاب الوحي، منهم: الخلفاء الأربعة، وزيد ابن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاوية بن أبي سفيان، والزبير بن العوام، وزيد بن الأرقم وغيرهم.

وجاء في حديث عن زيد بن ثابت ﵁قال: «كنا نؤلفُ القرآن من الرِّقاع» أي: نجمعُهُ لترتيب آياته. رواه الحاكم في المستدرك ٢/٢٢٩.

وروى عثمان بنُ عفان ﵁: «أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه شيءٌ يدعوا بعض من كان يكتبُهُ، فيقول: ضَعُوا هذه السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا».

رواه الحاكم في المستدرك ٢/٢٢١.

وتجدر الإشارة إلى أن صحابة رسول الله ﷺ قد كتبوا القرآن الكريم على أدواتٍ مُختلفةٍ فكتبوا على العُسب وهي: جريد النخل، واللِّخاف: وهي الحجارة الرِّقاق، والرِّقاع وهي القطعة من الجلد أو الورق أو الكاغد، والكرانيف: وهي أطراف العُسُب العريضة، والأقتاب: وهي جمع قَتَب وهي ما يُوضع على ظهر البعير ليُركَب عليه، والأكتاف: وهي جمع كتْف، وهي عظم عريض للإبل أو الغنم.

وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها الصحابة في كتابة القرآن، حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ، وكان يعرضون على رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظًا وكتابة كذلك، ولم تكن هذه الكتابة في عهد النبي ﷺ مجتمعة في مصحف عام، بل عند هذا ما ليس عند ذاك، وقُبِضَ رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الصحف على نحو ما سبق، مفرَّق السور، مرتب الآيات فقط وكل سورة في صحيفة على حدة.



سبب عدم جمع القرآن في مصحف واحد

وربما يسأل سائل عن سبب عدم جمع القرآن في مصحف واحد في زمان النبي ﷺ؟

١- الكثير من الصحابة كانوا يحفظون القُرْآن في صدورهم، وكانت الفتنة في تحريف القُرْآن مأمونة.

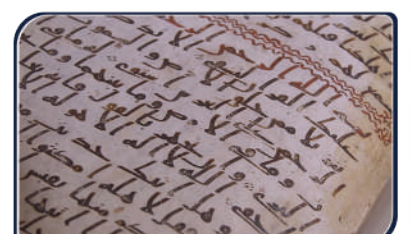
٢- قلة توفر أدوات الكتابة في عهد النبي ﷺ.

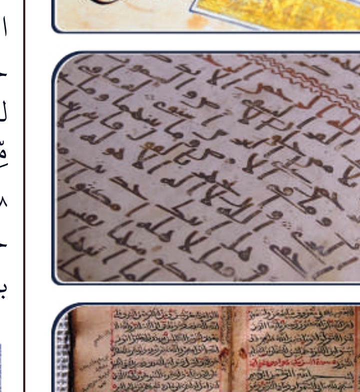
٣- كان النبي ﷺ بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله تعالى من الآيات.

٤- القُرْآن لم ينزل جملة واحدة، بل نزل مفرقًا على مدى ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث.

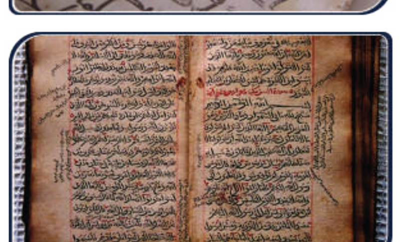
(مناهل العرفان للزرقاني جـ١ صـ٢٤٩).

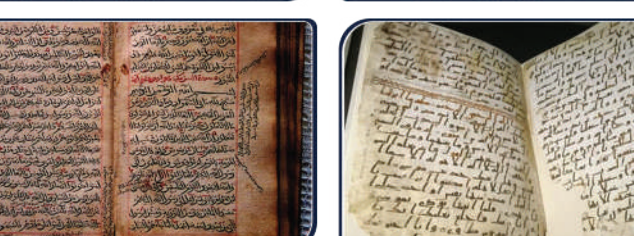














في عهد أبي بكر

قد كانت غزوة أهل اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة تضم عددًا كبيرًا من الصحابة القرَّاء، فاستشهد في هذه الغزوة سبعون قارئًا من الصحابة، فهال ذلك عمر بن الخطاب، ودخل على أبي بكر رضي الله عنه وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، فنفر أبو بكر من هذه المقالة وكبر عليه أن يفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ وظل عمر يراوده حتى شرح الله صدر أبي بكر لهذا الأمر، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت لمكانته في القراءة والكتابة والفهم والعقل، وشهوده العرضة الأخيرة وبدأ زيد بن ثابت في مهمته الشاقة معتمدًا على المحفوظ في صدور القرَّاء، فتتبع القرآن يجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم يجدها مع أحد غيره، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ التوبة: ١٢٨ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه. رواه البخاري ح(٤٩٨٦).

يظهر الباعث لدى أبي بكر رضي الله عنه لجمع القرآن وذلك خشية ذهابه بذهاب حَمَلته، حين استحرَّ القتل بالقراء في حروب الردة، وجمعه للقرآن هو الأصل، وقد كان جمعًا لما كان مفرقًا في مصحف واحد مرتَّب الآيات والسور، مقتصرًا على ما لم تنسخ تلاوته.

كان المصحف شاملًا للأحرف السبعة التي نزل بها القُرْآن تيسيرًا على الأمة الإسلامية، كما كانت الأحرف السبعة في الرقاع كذلك. مناهل العرفان للزرقاني جـ١ صـ٢٥٣.



في عهد عثمان

في عهد عثمان رضي الله عنه: اتسعت الفتوحات الإسلامية، وتفرَّق القرَّاء في الأمصار، وأخذ أهل كل مِصر عمن وفد إليهم قراءته، ووجوه القراءة التي يؤدون بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها، فكانوا إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجوه هذا الاختلاف.

ثم قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: «أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك»، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق. رواه البخاري ح (٣٥٠٦).

> والباعث لدى عثمان رضي الله عنه كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حيث كان بعض التابعين الذين لم يشاهدوا التنزيل يخطِّئ بعضهم بعضًا، وجمعه للقرآن كان نسخًا للمصحف الذي جمعه أبو بكر مع توحيد رسم المصحف.

ونسخ من المصاحف ستة منها واحد احتفظ به لنفسه، والبقية أرسلها إلى الأمصار، بعث مع كل مصحف واحداً من الصحابة يقرئ من أرسل إليهم المصحف، وغالباً ما كانت قراءة هذا الصحابي توافق ما كتب به المصحف، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد القيس مع البصري.

> والظاهر من الأدلة الصحيحة وتنوُّع القراءات الثابتة أنه أمر برسم كلمات القرآن على ما أمكن من الأحرف السبعة المنزلة، فإن لم يمكن رسم الكلمة إلا برسم واحد، اختار أحد الحروف المنزلة، وإن كان أحدها بلغة قريش قدَّمه على غيره، وأصبح من ذلك الحين رسم المصحف العثماني شرطًا أساسيًا من شروط صحة القراءة.

مزايا كل مرحلة:

العهد النبوي	عهد الصديق رضي الله عنه	عهد عثمان رضي الله عنه
• زيادة التّوثيق للقرآن. • أنّه كتب على الأحرف السّبعة. • لم يكن مجموعا في مصحف واحد كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: «قبض النّبيّ ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء واحد». فتح الباري (٩/٩).	• جمعه على أدّق وجوه البحث والتّحري والإتقان. • هذا الجمع كان بالأحرف السّبعة التي نزل عليها القرآن الكريم. • اتفق العلماء أنّه كتب منه نسخة واحدة حفظها الخليفة الراشد الصديق رضى الله عنه عنده لأنّه الإمام. • أجمعت الأمة على هذا الجمع المبارك للقرآن وتواتر ما فيه.	• تم نسخه عدة نسخ من الصحف التي كانت لدى حفصة رضي الله عنه • كتابة المصاحف بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة. • تجريد المصاحف من كل ما ليس قُرْآنا؛ كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحًا لمعنى، أو بيانًا لناسخ ومنسوخ، أو نحو ذلك. مناهل العرفان للزرقاني ج١ص٢٦١.

الأحرف السبعة

روى جمع من الصحابة بالطرق الصحيحة المتواترة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه». أخرجه البخاري في صحيحه ٦/١٠٠.

وقد روى البخاري قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟ فقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أرسله، اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها، فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه».

واختلف العلماء في تحديد المراد بنزول القرآن على سبعة أحرف على أقوال كثيرة، لعل ما يجمعها القول بأنها:

١- هي وجوه متعددة متغايرة منزلة، يقرأ بأي منها فتكون قد قرأت قرآناً منزلاً، وأقصى حد يمكن أن تبلغه الوجوه المنزلة في الكلمة القرآنية الوحدة هو سبعة أوجه، وذلك ضمن نوع من أنواع الاختلاف والتغاير، ولا يلزم أن تبلغ الأوجه هذا الحد في كل موضع. وهو اختيار الشيخ عبد العزيز القاري في كتابه: (حديث الأحرف السبعة) صـ٦٥، وقريب منه كلام الحافظ ابن حجر في الفتح.

٢- نسخ القرآن وفق ما ثبت من الأحرف السبعة.

٣- القراءات العشر التي يقرأ بها الناس اليوم إنما هي جزء من الأحرف السبعة.



٤- الأحرف متفرقة في القرآن في كل قراءة، ولا تجمعها رواية ولا قراءة واحدة، فإذا قرأ القارئ برواية من الروايات فإنما قرأ ببعض الحروف لا بكلها.

٥- الأحرف منزلة من عند الله تعالى، لا اجتهاد فيها لجبريل أو النبي ﷺ.

في عهد التابعين ومن بعدهم

كُتبت مصاحف عثمان خالية من النقط والتشكيل، ونسخت على غرارها مصاحف كثيرة أكثر من أربعين سنة، وخلال هذه الفترة توسعت الفتوح، ودخلت أممٌ كثيرة لا تتكلم العربية في الإسلام، فتفشت العجمة بين الناس، وكثر اللحن، ثم كانت مراحل أخرى في كتابة القرآن الكريم تسهيلا وتيسير وضبطا لكلام الرحمن تبارك وتعالى.

نقط الإعراب

في خلافة معاوية بن أبي سفيان وقع الاختيار على أبي الأسود الدؤلي لحل ما وقع فيه الناس من اللحن في القرآن، فقام بوضع نقاط الإعراب: أي الدالة على الحركات، حيث وضع النقطة أمام الحرف علامة على الضمة، والنقطة فوقه علامة على الفتحة، وإذا كانت تحته فهي للكسرة، فكان أبو الأسود أول من وضع النقط للضبط.

نقط الإعجام

ظهر نوع آخر من اللَّحن وهو عدم التمييز بين الحروف التي اتَّحدتْ صورتُها بدون نقط كالباء والتاء والثاء والجيم والحاء والدال والذال ونحوها.

فوقع الاختيار في خلافة عبد الملك بن مروان على عاملين للقيام بإعجام الحروف، وهما يحي بنُ يعمر العدواني (ت قبل ١٠٠هـ)، ونصر بن عاصم اللَّيثي (ت ٩٠هـ). فقاموا بنقط الحروف والتمييز بينها.

الحركات

استمرت الكتابة على هذا النحو إلى بداية الدولة العباسية فقام الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) فوضع ضبطًا أدق من ضبط أبي الأسود الدؤلي فجعل بدل النقط: ألفًا مبطوحة فوق الحرف علامة على الفتح، وتحته علامة على الكسر، وجعل رأس واو صغيرة علامة على الضمة، وغيرها من الحركات، ثم جعل النقاط على الحروف لإعجامها وتمييزها فيما بينها.

وقد تجرَّد قوم منهم للقراءة والإقراء ممن أخذوا عن صحابة النبي ﷺ، واعتنَوْا بضبط القراءة حتى صاروا أئمة يُقتدى بهم في القراءة، وكانوا كثيرًا في العدد، كثيرًا في الاختلاف، وظهرت كثير من القراءات التي صنفت بعد ذلك بالشاذة، ثم أراد الناس أن يقتصروا من القراءات التي توافق خط المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى كل إمام مشهور بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم، قد طال عمره، واشتهر أمره بالثقة، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي القراءة منهم بالقبول، ولتصديهم للقراءة نُسبت إليهم.

وهؤلاء قُلٌّ من كثر، فإن القراء الذين أخذوا عن التابعين كانوا أممًا لا تحصى، والذين أخذوا عنهم أيضًا أكثر، وهلم جرًّا، حتى بدأ التأليف في علم القراءات؛ وكثرت فيه المؤلفات، وفي هذا الوقت كان قد اشتهر القراء الذين نُسبت إليهم القراءة نسبة مداومة وملازمة واشتهار، حيث ألف الإمام أبو بكر أحمد بن مجاهد التميمي (ت٣٢٤هـ) كتابه المشهور: «السبعة في القراءات»، جمع فيه القراءات الصحيحة، وهذا الكتاب يعتبر نقلة نوعية بعد نسخ عثمان رضي الله عنه للمصاحف؛ حيث يعتبر قد جمع أشهر ما صح من قراءات قراء الأمصار وفق مصاحف الأمصار.

واشتهر هذا الكتاب، وصار عمدة لمن بعده، واستقرت في هذه المرحلة أركان القراءة الصحيحة، ووضح الفرق بين القراءة الصحيحة والقراءة الشاذة وفق قواعد وأركان وهي:

- التواتر
- موافقة القراءة للرسم العثماني، ولو احتمالاً
- موافقة القراءة لوجه من وجوه النحو، فصيحًا كان أو أفصح

اختار ابن مجاهد في كتابه سبعة من القراء المشهورين، واختار لكل قارئ راويين، وهناك من الرواة من أخذ عن القارئ مباشرة، ومنهم من أخذ عنه بواسطة، وهم:

	القارئ / الراوي	سنة الوفاة
١	نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم، أبو عبدالرحمن الليثي، مولاهم، المدني	١٦٩ هـ
أ	**قالون**: عيسى بن مينا الزرقي أبو موسى	٢٢٠ هـ
ب	**وَرْش**: عثمان بن سعيد ، أبو سعيدٍ المصري	١٩٧ هـ
٢	عبدالله بن كثير أبو سعيد المكي الداري العطار	١٢٠ هـ
أ	**البزي**: أحمد بن محمد ابن أبي بزة	٢٥٠ هـ
ب	**وقُنْبُل**: محمد بن عبدالرحمن المخزومي، مولاهم، أبو عمر	٢٩١ هـ
٣	أبو عمرو البصري زبان بن العلاء بن العريان التميمي المازني	١٥٤ هـ
أ	**الدوريُّ**: حفص بن عمر، أبو عمر الدُّوري	٢٤٠ هـ
ب	**والسوسي**: صالح بن زياد ، أبو شعيب	٢٦١ هـ
٤	عبدالله بن عامر الشامي، أبو عمران	١١٨ هـ
أ	**هشام**: ابن عمار بن نصر ، أبو الوليد الدمشقي	٢٤٥ هـ
ب	**ابن ذَكْوان**: عبدالله بن بشير بن ذكوان	٢٤٢ هـ
٥	عاصم بن أبي النَّجود أبو بكر الأسدي الكوفي	١٢٧ هـ
أ	**شعبة**: أبو بكر شعبة بن عياش الكوفي	١٩٣ هـ
ب	**حفص**: حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر الكوفي	١٨٠ هـ
٦	حمزة بن حبيب أبو عمارة الزيات الكوفي	١٥٦ هـ
أ	**خلف**: خلف بن هشام بن ثعلب البزار، أبو محمد البغدادي	٢٢٩ هـ
ب	**خلاد**: خلاد بن خالد، أبو عيسى الكوفي	٢٢٠ هـ
٧	علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي	١٨٩ هـ
أ	**الليث**: أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي	٢٤٠ هـ
ب	**الدوريُّ**: حفص بن عمر، أبو عمر الدُّوري	٢٤٠ هـ

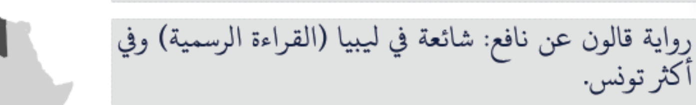
ثم بقي الأمر على هذه القراءات حتى جاء عصر خاتمة المحققين في هذا الفن الإمام محمد بن محمد الجزري في القرن التاسع، وقد قام ابن الجزري بزيادة ثلاثة قراء، واختار لكل قارئ راويين، زيادة على السبعة فصاروا عشرة، هم:

		سنة الوفاة
٨	أبو جعفر المدني، يزيد بن القعقاع المخزومي	١٣٠ هـ
أ	**ابن وردان**: عيسى بن وردان المدني، أبو الحارث الحذاء	١٦٠ هـ
ب	**ابن جماز**: سليمان بن مسلم بن جماز، أبو الربيع الزهري	١٧٠ هـ
٩	يعقوب بن إسحاق بن يزيد الحضرمي البصري، أبو محمد	٢٠٥ هـ
أ	**رُوَيْس**: محمد بن المتوكل اللؤلؤي، أبو عبدالله البصري	٢٣٨ هـ
ب	**رَوْح**: بن عبدالمؤمن، أبو الحسن البصري	٢٣٤ هـ
١٠	خلف بن هشام ، أبو محمد البغدادي البزار	٢٢٩ هـ
أ	**إسحاق**: إسحاق بن إبراهيم ، أبو يعقوب البغدادي	٢٨٦ هـ
ب	**إدريس**: إدريس بن عبدالكريم الحداد، أبو الحسن البغدادي	٢٩٢ هـ

وقد انتشرت بعض القراءات في العالم الاسلامي، وتبين هذه الخارطة انتشارها وأماكنها



رواية ورش المصري عن نافع المدني: وهي الرواية المنتشرة في بلاد المغرب العربي (الجزائر والمغرب وموريتانيا)، وفي غرب إفريقيا (السنغال والنيجر ومالي ونيجيريا وغيرها) وإلى حد ما بعض نواحي مصر وليبيا وتشاد وجنوب وغرب تونس. وهي الرواية التي كان لها الانتشار في القرون الأولى في مصر، ومنها انتشرت إلى تلك البلدان.



رواية قالون عن نافع: شائعة في ليبيا (القراءة الرسمية) وفي أكثر تونس.

رواية حفص الدوري عن أبي عمرو البصري: هي الرواية الأكثر ذيوعًا في الصومال، والسودان، وتشاد، ونيجيريا، وأواسط إفريقية بصفة عامة.



رواية حفص عن عاصم: كانت رواية نادرة الوجود حتى نشرها الأتراك الأحناف في آخر العهد العثماني. وقد انتشرت في جميع المشرق وفي الجزيرة ومصر. والحنفية يتعصبون لرواية عاصم لأن أبا حنيفة كوفي أخذ عن عاصم.





فتاوى وأحكام

- القراءات القرآنية سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، ولا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر.
- نظم الشاطبي كتاب التيسير لأبي عمر الداني في قصيدته الشاطبية، حوت قراءات القراء السبعة مع رواتهم، وكل راو له طريق واحد، وأكمل ابن الجزري العشرة في قصيدته الدرة، وأصبحت تسمى كلها القراءات العشر الصغرى.
- نظم ابن الجزري كتابه النشر في القراءات العشر في قصيدته المشهورة: طيبة النشر، وأصبحت القراءات العشر برواتها العشرين بجميع طرقها التي أوصلها ابن الجزري لألف طريق، وسميت بالقراءات العشر الكبرى.
- والقراءة الشاذة هي التي فقدت شرطًا - أو أكثر - من شروط القراءة الصحيحة، ولم ينقل لنا من القراءات الشاذة قراءة كاملة في المصنفات إلا قراءة الأئمة الأربعة بعد العشرة، وهم ابن محيصن والحسن البصري والأعمش واليزيدي، وهي قراءات صحيحة الإسناد، ولكن لم تتوفر فيها جميع أركان القراءة الصحيحة.
- يجوز الصلاة بأي رواية من القراءات المتواترة، ولا يجوز بغيرها من الشاذة أو من فقدت أحد أركان القراءة.

أكاديميات لتحفيظ القرآن (أونلاين)



أكاديمية تاج العالمية

هي منشأة تعليمية عالمية تعنى بتعليم القرآن وتحفيظه للجنسين بحلقات منفصلة، من خلال مجموعة من القراء والمتخصصين، وعدد أيام الدراسة 3 أيام في الأسبوع، بواقع ساعة ونصف في اليوم.



أكاديمية جامع الراجحي

أكاديمية إلكترونية لتعليم القرآن، ويكون ذلك عن طريق فصول افتراضية على الانترنت، الدراسة في الأكاديمية على أربع أقسام، هي: لمن هو حافظ ويريد الضبط والإتقان وتعلم القراءات المتواترة، ومن يريد حفظ القرآن، وله منهج محدد يسير عليه، ومن يرغب في تحسين تلاوته ونطقه للقرآن مع منهج بسيط للحفظ، وللمسلمين الجدد الذين يرغبون في تعلم الفاتحة وقصار السور.



الأكاديمية الإسلامية المفتوحة

تقدم برنامج مخصص للحفظ، وآخر للتلاوة، ويوجد حلقات مخصصة للرجال، وأخرى للنساء، وجميعها عبر الانترنت، كما تقدم الأكاديمية دورات في أحكام التجويد.



أكاديمية ورتل

أكاديمية مصرية لتحفيظ القرآن الكريم «أونلاين» للنساء فقط، وتقدم دورات لتعليم التجويد نظريا وعمليا؛ فضلا عن حلقات تحفيظ القرآن توجد حلقات أخرى، هي: تعليم التجويد، وتصحيح التلاوة، وتأهيل الإجازة، وإجازات بسند، وإعداد معلمات.



كُتاب أونلاين

مدرسة مصرية لتحفيظ القرآن الكريم عبر الانترنت، تقدم دروس لتحفيظ القرآن الكريم للكبار والأطفال، ودروس لتعليم القراءة الصحيحة للقرآن الكريم وتعليم قواعد وأحكام التجويد، ويوجد محفظات متخصصات لتحفيظ الفتيات.

تطبيقات ومواقع تساعد على الحفظ



المصحف المعلم

وهو تطبيق مجاني مخصص لتعليم الأطفال تلاوة وتجويد وحفظ القرآن الكريم بطريقة سهلة، وهو يركز على مخارج الحروف، والقواعد الأساسية للتجويد، كما أنه يحوي بعض التمارين.



محفظ الوحيين

وهو تطبيق مجاني متوفر بعدة لغات، يوفر رواية للقرآن الكريم بصوت ١٢ قارئا، ويتيح للمستمع قراءة النص، وسماعه، وتسجيل صوته عند التلاوة؛ للتأكد من نطقه الصحيح للآيات.



احفظ القرآن

وهو تطبيق مجاني يساعد على قراءة وحفظ القرآن الكريم بطريقة سهلة، فهو يوفر نوعين من الامتحانات، يمكن للقارئ أن يخضع لهما لتقييم نفسه ودرجة حفظه، وهذا التطبيق متوفر باللغتين العربية والإنجليزية.



تحفيظ القرآن الكريم

وهو تطبيق مجاني يتيح سماع القرآن بصوت أشهر المقرئين في الوطن العربي، وبه إمكانية تكرار الآيات من مرتين إلى عشر مرات بحسب الاختيار، لضمان حفظها بسهولة.



أسرع الطرائق لحفظ القرآن الكريم

وهو أيضًا تطبيق مجاني يقدم لهم ١٠٠ نصيحة تساعد على حفظ القرآن الكريم دون معلم، بطريقة ميسرة وسهلة، ليتموا حفظ القرآن الكريم خلال أقل من عام.

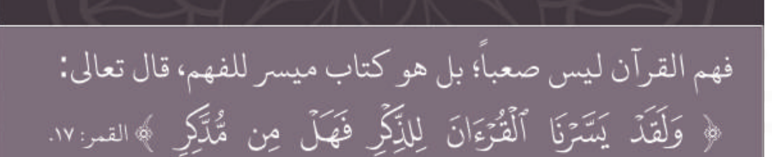
أفضل المراجع

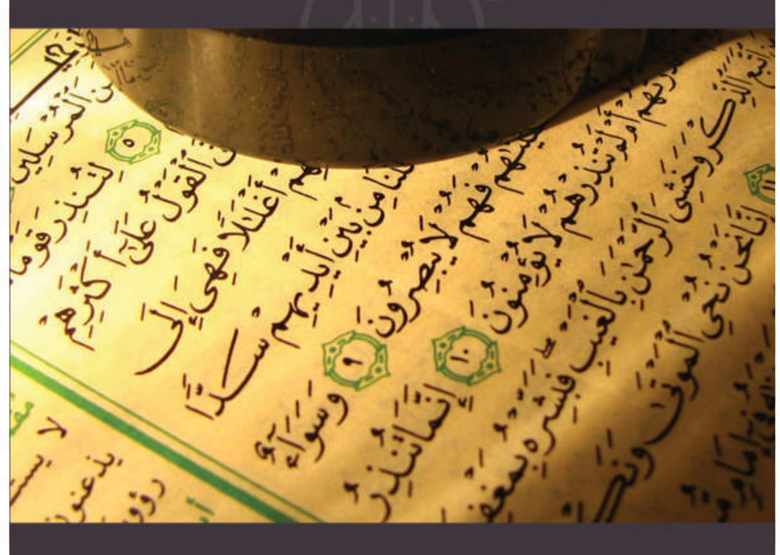
- أساليب حفظ القرآن، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، طبعة طيبة.
- حقق حلمك في حفظ القرآن الكريم، عبد الله بن أحمد الملحم، شركة الابداع الفكري، ٢٠٠٩م.
- كيف تحفظ القرآن الكريم، د. يحيى الغوثاني، دار الغوثاني، ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف، د.حازم حيدر، طبعة وزارة العدل في البحرين ٢٠١٣م.
- كتابة المصحف الشريف وطباعته، د.محمد سالم العوفي، طبعة مجمع الملك فهد.



مرحلة الفهم







درجات فهم القرآن



فهم لمعاني مفرداته الكريمة، وفهم ما لا بد منه من سياق الكلام، وهناك فهم دقيق وتأمل عميق.

الفرق بين التفسير والتدبر

فالتفسير يكشف اللثام عن معانيه اللغوية والسياقية والشرعية، ، بينما التدبر إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها.

أوجه التفسير

شرح قول ابن عباس رضي الله عنه أن :" التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله ".

الفرق بين التفسير والتأويل



التفسير يتعلق بشرح ألفاظ القرآن وبيان معانيها من جهة اللغة، والتأويل يتعلق باستنباط الحكم والأحكام من الآيات وترجيح أحد المحتملات.



مفردات قرآنية متشابهة

وتم اختيار مفردتين لما قبل التدبر، وهما التفسير والتفهم، وأثناء التدبر وهما التدبر والتعقل، وبعد التدبر وهما الاستنباط والتفكر، وذكر الفرق بينها.

٥٩

أولا: ما يتعلق بالتفسير

ظهر علم التفسير بالتزامن مع نزول الآيات القرآنية على الرسول ﷺ، ومن بداية القرن الثاني للهجرة كثر التأليف في التفسير إلى يومنا هذا.

٦٠

تاريخ التفسير

مر تدوين تفسير القرآن بمراحل أربعة، من عصر الصحابة ثم تابعيهم ثم تدوين السنة، ومنها إلى استقلالية التفسير في كتاب خاصة.

٦١

أشهر كتب التفسير

بداية من تفسير ابن جرير الطبري، ثم تفسير البغوي، ومرورا بتفسير القرطبي، وفي العصر الحاضر كالتحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور.

٦١

طرق التفسير

وأولها تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم من بعدهم من التابعين، وأخيرا تفسيره باللغة التي نزل بها وهي العربية.

٦٢

أنسب كتب التفسير

أنسب الكتب المختصرة في تفسير القرآن الكريم، ككتاب السراج في غريب، والتفسير، والمختصر في التفسير.

٦٢

ما يتعلق بالتدبر

والتدبر يحمل على التذكر والاتعاظ، والتذكر يحمل النفس على الاستجابة والانقياد، وهنا يكمن مقصود الله تعالى في ذلك ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ ص: ٢٩.

٦٢

وسائل التدبر

أولا: وسائل تهيئة القلب قبل التدبر، ثانيا: وسائل إجرائية، ثالثاً: وسائل التدبر المنهجية، رابعا: وسائل حفظ وتنمية التدبر.

٦٤

مراحل التدبر

لا بد من اليقين التام أنك مع القرآن، وأن خطابه موجه إلى القلب، ثم كيف نقرأ القرآن؟، بأي القرآن نبدأ؟

٦٦

من موانع التدبر

انشغال القلب أو الجوارح بغير المتلوّ، والوقوف عند جمال الصوت، وانصراف الهمّة إلى تكثير عدد الختمات فقط.

٦٦

الهدي النبوي في تدبر القرآن

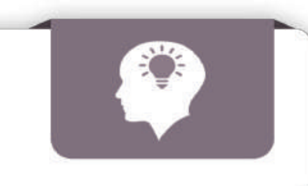
أخبر سبحانه وتعالى أن من واجب النبي ﷺ أن يقرأ القرآن على أمته بتمهّل وروية، فقال سبحانه: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ الإسراء: ١٠٦، وذلك لتحصل الاستفادة والاتعاظ من سماع القرآن، وذلك لا يكون إلا مع التمهل وعدم العجلة.

٦٧

ثمراته ونتائجه

ومنها يورث اليقين، ويزيد الإيمان، وطريق إلى العمل بما في القرآن من المأمورات، والكف عن المنهيات، وسبيل إلى الاعتبار والاتعاظ بأمثاله وقصصه.

٦٨



مرحلة الفهم

المرحلة الرابعة من مراحل هذا الكتاب، وهي بداية المحطة الثانية الخاصة بمعالجة العلم بالفهم والتفكر والاستبصار والتدبر، وهي مبنية على القوة العلمية التي حباها الله للإنسان، فإذا استمع المسلم للقرآن، وجود قراءته، وأتقن ما يحفظه، فحرى به أن يكون له وقفات يُعمل فيها عقله وقلبه مع آياته وقصصه، وقيمه وموازينه، وأسسه ومبادئه، وأهدافه ومقاصده؛ لأن الفهم نوع من الاهتمام بالقرآن الكريم.

فهم القرآن -كلام الله- ليس صعباً أو مستحيلاً؛ بل هو كتاب ميسر للفهم، كتاب مفتوح أمام من يحمل قلبا حياً، لديه آليات عمل فعالة، ويملك صحة فهم بعلم وعدل، بهما يستطيع أن يحصل على معارف وكنوز القرآن، وأن يتأثر بإرشاداته وتوجيهاته، لذا قال تعالى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ القمر: ١٧.

> قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره. اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٧٠).

يقول ابن القيم صحةُ الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطي عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم، الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين، الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعَم عليهم، الذين حسُنت أفهامهم وقصودُهم، وهم أهل الصراط المستقيم، الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهديَنا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب مَحمَدة الخَلْق، وترك التقوى. إعلام الموقعين (١/ ٨٧).





درجات فهم القرآن

لفهم القرآن درجات

١- فهم لمعاني مفرداته الكريمة، وفيه يتعرف المسلم على معاني المفردات التي لا يفهمها؛ حتى يتضح له المقصود، ويفهم المراد.
٢- وفهم ما لا بد منه من سياق الكلام: وهو المعنى الكلي للقصة أو المشهد أو السورة، ويعتبر الفهم السابق جزءًا منه.
٣- وهناك فهم دقيق وتأمل عميق؛ للوصول إلى معرفة مقاصد القرآن الكريم ومراميه، وهو أثر ونتيجة للنوعين السابقين، إضافة لطول التأمل والتدبر والإخلاص لله تعالى، وفيه يقف المسلم على أسرار وحِكَم وأبعاد ومرامي القرآن.



الفرق بين التفسير والتدبر

والفهم يكون نتيجة للتدبر، كما أنه يكون وسيلة وراء ذلك، فإن من التدبر ما لا يكون إلا بعد الفهم؛ وعليه يمكن القول أن الفهم ينقسم إلى بسيط ومركب، فالبسيط هو ما يتعلق بالفهم الكلي للآية، ويكون من خلال معرفة التفسير الإجمالي الذي يوصل المتدبر إلى التدبر إلى أقل درجات التدبر للآية، ثم الفهم المركب: وهو الناتج عن أعلى درجات التدبر، وكذا الغوص في دقائق التفسير واستنباط الآيات، ويوصل إلى كمال الفهم لآيات القرآن الكريم.

ومن هنا جاء الكلام على أمرين هما: ما يتعلق بالتفسير ثم ما يتعلق بالتدبر، وهما رأس الفهم وعموده، بهما يصل المسلم إلى الفهم الكلي لآيات القرآن الكريم.

كتاب فهم القرآن للحارث المحاسبي (ت٢٤٣)
وذكر في كتابه مقدمة عن القرآن ومنزلته وفضائله وتناول فيها وجوب تدبره وتفهمه، وسبل ذلك، وحدد موانع الفهم له وحذر من عواقب مجافاته، واعتمد في الاستدلال على الكتاب والسنة وآثار السلف والاستدلال العقلي.

إضاءة

لا بد من بيان أن التدبر هو غير التفسير، فالتفسير الكشف والبيان؛ لأنه يكشف اللثام عن معانيه اللغوية والسياقية والشرعية، باستعمال قواعد التفسير المعروفة عند أهله، وهذا هو علم التفسير، ولذلك سمي بيان كتاب الله تفسيرًا.

بينما التدبر إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها، واعتقاد ما دلت عليه وامتثاله.

والتفسير يغذي القوة العلمية، بينما التدبر يغذي القوة العلمية والإيمانية والعملية، والتدبر أُمِر به عامة الناس للانتفاع بالقرآن والاهتداء به، ولذلك خوطب به ابتداءً الكفار في آيات التدبر، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤ ، والناس فيه درجات بحسب رسوخ العلم والإيمان وقوة التفاعل والتأثر، وأما التفسير فمأمور به بحسب الحاجة إليه لفهم كتاب الله تعالى بحسب الطاقة البشرية، ولذا فإن الناس فيه درجات.

يقول شيخ الإسلام: «وأما في «باب فهم القرآن» فهو دائم التفكر في معانيه والتدبر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحكمه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئا من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن؛ فإن شهد له بالتزكية قبله وإلا رده، وإن لم يشهد له بقبول ولا رد وقفه وهمته عاكفة على مراد ربه من كلامه. ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن إما بالوسوسة في خروج حروفه... وكذلك تتبع وجوه الإعراب واستخراج التأويلات المستكرهة التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان.... فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب، وكذلك تأويل القرآن على قول من قلد دينه أو مذهبه فهو يتعسف بكل طريق حتى يجعل القرآن تبعا لمذهبه وتقوية لقول إمامه وكل محجوبون بما لديهم عن فهم مراد الله من كلامه في كثير من ذلك أو أكثره. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٠).

الفرق بين التفسير والتأويل

التفسير يتعلق بشرح ألفاظ القرآن وبيان معانيها من جهة اللغة، والتأويل يتعلق باستنباط الحكم والأحكام من الآيات وترجيح أحد المحتملات، هذا إذا أردنا التفريق بين التفسير والتأويل وإلا فيصح إطلاق أحدهما على الآخر فبينهما عموم وخصوص من وجه كالإيمان والإسلام فإذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فإذا استعملنا كلمة التفسير مفردة فتعم التأويل، وكذلك إذا استعملنا كلمة التأويل مفردة فتعم التفسير وإذا جمعنا بين الكلمتين فقلنا التفسير والتأويل فينصرف التفسير إلى شرح ألفاظ القرآن وبيان معانيها وينصرف التأويل إلى استنباط الحكم والأحكام وترجيح المحتملات كما سبق بيانه والله أعلم.

مفردات قرآنية متشابهة



١- ما قبل التدبر: ومن المفردات في هذه المرحلة التفسير والتفهم.

فالتفسير هو ملازم للتدبر، فلا يحصل التدبر من غير معرفة المعنى، ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٣

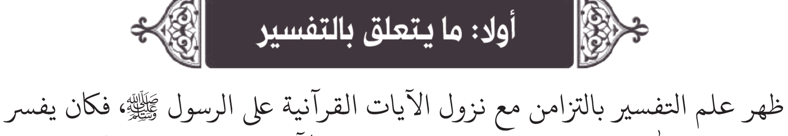
والتفسير كشف للمعنى، والتدبر تأمل في أدبار معاني الآيات وعواقبها، وعليه فالتفسير وسيلة، ومقصوده هو بيان معاني كلام الله تعالى، والتدبر غاية ومقصوده هو الاتعاظ والاعتبار.

وأما التفهم فمن الفَهْم أصل للتدبّر ومقدّم عليه ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الأنبياء: ٧٩

فهو من هذه الجهة كالتفسير سواء بسواء، والتدبّر أعمّ وأعمق من الفهم، فلا يُعقل تدبر من غير تفهُّم، ولأنه غوْص عن الحِكَم والأسرار وما وراء النصوص، بخلاف الفهم فيُكتفى فيه بالوقوف على المعاني الظاهرة دون تطلّب لما سواها.







٢- أثناء التدبر: وهي المتعلقة بالتدبر والتَّعَقل

والتعقُّل: هو التَّثَبُّت في الأُمور، والقوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عَقْلٌ.

التعقل فيه معنى يقضي بإدراك المعاني التي تَعْقل الإنسان وتمنعه من المخالفة، وهذا بخلاف التدبر فهو تعقُّب للوصول إلى أدبار المعنى.

والتدبر أعمّ من التعقّل؛ حيث إن الأول عام خوطب به الجميع، والثاني تَخَصَّص في كثير من الآيات بقوم مخصوصين، كجملة «لقوم يعقلون» كثيراً، كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣.

٣- ما بعد التدبر: ومن المفردات الاستنباط والتفكر.

الاستنباط استخراج المعاني الخفية من النصوص، وهو خاص بالعلماء والمتخصّصين ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ٨٣، أدقّ من التدبر لأنه يحتاج إلى جهد أكثر، ومعاناة فكرية أعظم،بخلاف التدبرفهو عام خوطب الكفار والمنافقين وعموم المؤمنين به.

وأما التفكّر فأعمّ من التدبر؛ وذلك لأن متعلَّقه في الآيات المتلوة والمشاهدة في الكون والنفس، ومنه﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم: ٢١.

أما التدبّر فمتعلَّقه الآيات المتلوة دون غيرها، ولكن مع هذا يؤول أحدهما إلى الآخر، أي أنه توجد علاقة بينهما فالتدبر للقرآن يقودك إلى التفكر والعكس، وهما في جميع الأحوال يثمران تذكراً للقلب وذكرى.

هذه المصطلحات السابقة تُعدّ بمثابة درجات في فهم القرآن والتعامل معه، ولابد أن نفهم أن الناس درجات ومستويات في التدبُّر.

أولا: ما يتعلق بالتفسير

ظهر علم التفسير بالتزامن مع نزول الآيات القرآنية على الرسول ﷺ، فكان يفسر لصحابته رضي الله عنهم ما يحتاجونه من فهم بعض الآيات، ثم صارَ علم التفسير من العلوم الدينية المهمة في الإسلام، حيث عملَ الصحابة رضي الله عنهم على تفسير الآيات القرآنية للمسلمين، وخصوصاً للذين دخلوا في الإسلام حديثاً، ولم يكونوا على علمٍ كافٍ باللغة العربية، وقواعدها، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أقل حاجة من غيرهم لفهم القرآن إذ هم عاصروا نزول القرآن مع قوتهم في لغتهم العربية، وكلما تقدم الزمن زادت حاجة الناس لمعرفة فهم القرآن، فأخذ التابعون عن الصحابة الكرام، ثم جاء بعدهم أتابعهم ممن اشتهروا بالتفسير، وظهرت مدارس كل منها لها منهجها وطريقتها.

واشتهر بالتفسير من الصحابة والتابعين كثيرون، فمنهم:

أ- أهل مكة: وهم أتباع ابن عباس؛ كمجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح.

ب- أهل المدينة: وهم أتباع أُبيِّ بن كعب؛ كزيد بن أسلم، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

ج- أهل الكوفة: وهم أتباع ابن مسعود؛ كقتادة، وعلقمة، والشعبي. فلنترجم لحياة اثنين من هؤلاء: مجاهد، وقتادة.

ممن اشتهر من الصحابة بالتفسير

قد اشتهر بالتفسير من الصحابة رضي الله عنهم الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وأكثر من روى عنهم من الخلفاء علي بن أبي طالب لأن الخلافة لم تشغله أول الأمر، ولبقائه مدة طويلة بعد رسول الله ﷺ.

ومن بداية القرن الثاني للهجرة كثر التأليف في التفسير إلى يومنا هذا، وعدت التفاسير بالمئات، وبجانبها ظهرت آلاف الكتب التي عنيت بدراسة جانب من جوانب القرآن، فألف قتادة بن دعامة الدوسي (ت١١٨ه) (الناسخ والمنسوخ) وهو أول من ألف فيه، كما ألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠ه) في مجاز القرآن، وألف أبو علي ابن المديني (ت٢٣٤ه) كتابه في (أسباب النزول) كما ألف أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧ه) والواحدي (ت٤٦٨ه) كتابهما في (أسباب النزول)، وألف الراغب الأصبهاني (ت٥٠٢ه) كتابه (المفردات في غريب القرآن)، وأفرد الجصاص الفقيه الحنفي (ت٣٧٠ه) كتاباً خاصاً (بأحكام القرآن) تناول فيه تفسير آيات الأحكام وكذلك فعل ابن العربي المالكي (ت٥٤٣ه)، وغيرهم الكثير.

تاريخ التفسير

١ - كان التفسير يعتمد على الرواية والنقل فالصحابة يروون عن الرسول ﷺ ويروى بعضهم عن بعض.

٢ - دون ضمن كتب الحديث كما فعل البخاري ومسلم وأصحاب السنن أفردوا باباً للتفسير في كتبهم جمعوا فيه ما روي عن الرسول ﷺ أو الصحابة أو التابعين في تفسير القرآن.

٣ - دون مستقلاً في كتب خاصة به جمع فيها مؤلفوها ما روي عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين بالإسناد مرتباً حسب ترتيب المصحف من سورة الفاتحة ثم البقرة وهكذا إلى آخر سورة الناس، وكان منهم ابن جرير الطبري (ت٣١٠ه) وابن المنذر (ت٣١٨ه) وابن أبي حاتم (ت٣٢٧ه) وابن مردويه (ت٤١٠ه).

٤ - دون التفسير مجرداً عن الإسناد، واختلط الصحيح بالضعيف، ودخلت الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، وكان منهم تفسير الثعلبي (ت٤٢٧ه)، وتفسير ابن الجوزي (ت٥٩٧ه).



أشهر كتب التفسير

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المسمى بتفسير الطبري، ومؤلفه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠).
- معالم التنزيل المسمى بتفسير البغوي، ومؤلفه أبو محمد الحسين بن مسعود ب المعروف بالفراء البغوي، (ت: ٥١٦ه).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ومؤلفه أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ه).
- أحكام القرآن، مؤلفه محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي الاشبيلي (ت: ٥٤٣ه).
- زاد المسير في علم التفسير، ومؤلفه جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت: ٥٩٧ه).
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ومؤلفه أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت:٦٧١ه)ـ.
- البحر المحيط في التفسير، ومؤلفه أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥ه).
- تفسير القرآن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير، ومؤلفه أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الفقيه الشافعي، (ت:٧٧٤)ه.
- تفسير الجلالين، ومؤلفه جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤ه)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ه).
- فتح القدير، ومؤلفه محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني)ت:١٢٥٠ه).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ومؤلفه أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي الآلوسي (ت:١٢٧٠ه).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ومؤلفه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦ه).
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، مؤلفه محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣ه).

طرق التفسير



١ تفسير القرآن بالقرآن، وهو عمدة التفسير.

٢ تفسير القرآن بالسُّنَّة، وهو المصدر الثاني في التفسير.

٣ تفسير القرآن الكريم بأقوال الصَّحابة؛ وهو المصدر الثالث عند المفسِّرين.

٤ تفسير القرآن بأقوال التابعين، وهو المصدر الرابع عند علماء التفسير.

٥ تفسير القرآن باللغة العربية.

أنسب الكتب المختصرة في التفسير

- كتاب السراج في غريب القرآن للدكتور محمد بن عبدالعزيز الخضيري.
وهو كتاب سهل العبارة، يقتصر على الكلمات ومعانيها، يصلح للمبتدئ ليصل لمعنى الكلمة بسهولة ويسر.

٢-المنتخب في تفسير القرآن الكريم، تأليف لجنة القرآن والسنة بوزارة الشؤون الإسلامية بمصر.
هذا التفسير قام بتأليفه عدة علماء من علماء الأزهر، وهو بيان إجمالي لكل آية من الآيات، وقد طبع على حاشية المصحف، وروعي في صياغته دقة العبارة بقدر الطاقة.

٣-التفسير الميسر، تأليف نخبة من العلماء، إصدار مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة.
صدر هذا التفسير عن مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، وهو تفسير إجمالي سهل العبارة جداً، يصلح للمبتدئ يطالعه على حاشية المصحف ويفهم المقصود بالآية بسهولة، وهو من أجود التفاسير المختصرة، وهو جدير بأن يكون في كل بيت.

٤- التفسير المنهجي، تأليف عدد من الباحثين الأردنيين.
هذا التفسير يصلح للتدريس في المعاهد والمدارس، وفيه بيان للمفردات الغريبة، ثم تفسير إجمالي للآيات بعبارة سهلة موجزة، ثم أسئلة وأنشطة وتقويم لما فهمه القارئ، فهو من أنسب ما يكون للتدريس في المدارس

٥-المختصر في التفسير، وهو من إصدارات مركز تفسير.
وهذ المختصر طبع على هامش المصحف، ويتميز بوضوح العبارة وسهولتها، بعيدًا عن الحشو والتعقيد اللفظي، والاقتصار على تفسير الآيات وبيان معانيها.

ثانيا: ما يتعلق بالتدبر

إن تلاوة القرآن والاستماع إليه إنما هي إقامة لحجة الله تعالى على المرء، حيث بلغه كتاب الله تعالى، ووقف على آياته وتوجيهاته، وهي لا تنفك عن تدبر آياته، وكل منها يأخذ بذيل سابقه، فالاستماع يقود للتلاوة ومن ثم التلاوة تقود إلى التدبر، والتدبر يحمل على التذكر والاتعاظ، والتذكر يحمل النفس على الاستجابة والانقياد، وهنا يكمن مقصود الله تعالى في ذلك: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ص: ٢٩

وتبين من الآية وجوب التدبر والتفكر وإمعان النظر، لفهم معاني آيات الكتاب العزيز.

وعاب على المنافقين والمشركين إعراضهم عن تدبر القرآن والتفكر فيه وفي معانيه ، فقال تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ محمد: ٢٤

أشاد القرآن الكريم بما يفيد الأمر والترغيب في التدبر، بلفظ صريح في أربعة مواضع: منها آيتان وردت تأمر المنافقين بتدبر القرآن، في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ النساء: ٨٢.
وقوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ محمد: ٢٤.

والأخريان وردت تأمر المشركين بتدبره، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ص: ٢٩.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المؤمنون: ٦٨.

والمؤمنون داخلونَ في الخطاب من باب أولى، لأنّهم أهلُ الانتفاعِ بتدبُّرِ القرآنِ، وقد وردت قراءة أبي جعفر المتواترة في آية سورة ص ﴿مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ أي يا محمد وأتباعك.

وبألفاظ غير صريحة، تحمل في مضامينها مفهوم التدبّر، كالتفقّه، والتعقّل، والتبصّر، والتفكّر، والتذكّر، وغير ذلك من المفردات، والصيغ التي مفادها التدبّر والتأمّل في آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام: ٦٥، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل: ١٢.

وهناك أموراً ستة لو اجتمعت في قارئ يكون في أعلى درجات التدبر، وقد يتخلّف شيء منها فيكون القارئ حينئذ متدبراً ولكن على درجة ما، ولعله يرقى إلى الكمال بالدُّربة والمران.

١- القراءة نظراً أو حفظاً أو الاستماع.

٢- معرفة المعاني والتفسير جملة.



٣- الوصول للمعاني الكلية واللطائف الدقيقة.

٤- معرفة مراد الله تعالى ومقاصد الآيات.



٥- حضور تأثر القلب وخشوعه.

٦- التطبيق وانسياق الجوارح للعمل.

تدبر القرآن مطلوب من كل أحد من البشر، لأنه الكتاب الذي أنزل لهدايتهم وإرشادهم إلى خير دنياهم وآخرتهم، ولذلك حضهم ربهم سبحانه على ذلك قائلاً: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢، وتدبر كتاب الله ميسر لكل أحد، ومصداق ذلك قوله سبحانه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ القمر: ١٧، قال الطبري رحمه الله في تفسيرها: «ولقد سهلنا القرآن، بيناه وفصلناه للذكر لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهوّناه... فهل من معتبر متعظ يتذكر بما فيه من العبر والذكر؟». جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ٥٨٤).

شكا النبيّ ﷺ إلى ربّه من هجران قومه هذا القرآن، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ الفرقان: ٣٠. قال ابن كثير: «وترك تدبره وتفهمه من هجرانه» تفسير ابن كثير ١٠٨/٦. وقال ابن القيم: «هجر القرآن أنواع... الرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه» بدائع التفسير ٢٩٢/٢.

المتتبّع للآيات الخاصّة -آيات البيان وآيات التدبّر-، تكشف لنا عن حكمتين من حِكَم إنزال القرآن على النبيّ ﷺ :

الحكمة الأولى: أن الله ﷻ أنزل القرآن على نبيّه ﷺ ، ليبيّن للناس ما نُزّل إليهم في هذا الكتاب، من الأحكام الشرعية، والوعد والوعيد، ونحو ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ص: ٢٩، وقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ النحل: ٦٤.

والحكمة الثانية: هي التدبّر والتفكّر في آيات الله والاتعاظ بها، والتأمّل في أحكامها ومقاصدها، والعمل بما جاء فيها تقرّبا إلى رضى الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ص: ٢٩.

تنبيه

العلاقة بين التّدبُّرِ والتّأثُّرِ البدني من سماع القرآن، كالقشعريرة التي تصيب الإنسان، والخشوعَ الذي يلحقُه، قد يكون بسبب تأثير القرآنِ عليه وهو التّدبُّر وقد لا يكونُ، فالتّدبُّرُ عمليّةٌ عقليّةٌ تحدثُ في الذّهنِ، والتّأثُّرُ انفعالٌ في الجوارحِ والقلبِ، وقد يكونُ بسببِ التّدبُّرِ، وقد يكونُ بسببِ روعةِ القرآنِ ونظمه. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطّيّار، ص٢٠٤.



هذه الوسائل يمتثلها المتدبر كُلاً أو بعضاً؛ ليؤتي تدبره ثماره الطيبة، وهي بمثابة شروط تَضْبط عملية التدبر، حتى لا يقول في القرآن مَنْ شاء ما شاء، ومن هذه الوسائل:

أولاً: تهيئة القلب قبل البدء في التلاوة والتدبّر، وذلك من خلال:

١. الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

٢. البعد عن الذنوب والمعاصي.

٣. الوقوف على شيء من أحوال النبي ﷺ والسلف في تعاملهم مع القرآن.

٤. دعاؤه عز وجل بالتوفيق إلى التدبّر مع الإلحاح.

٥. استحضار عظمة الله تعالى، وعظمة كلامه سبحانه.

٦. وجود محبة للقرآن، والانشغال به.

ثانياً: وسائل إجرائية:

- تحري الأوقات التي يكون القلب فيها أبعد ما يكون عن الشواغل : ومن أفضلها وقت الليل، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ الزمر: ٩

- ترديد الآية المؤثرة في القلب: فعن أبي ذر قال: ((قام النبي بآية حتى أصبح يرددها، والآية:﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ المائدة: ١١٨.أخرجه أحمد في المسند ١٥٦/٥ ، وقال النووي: بسناد حسن. خلاصة الأحكام ٥٩٥/١.

- الخشوع وتحسين الصوت من غير تكلّف: وقد وقف النبي ﷺ مرة يستمع لقراءة أبي موسى رضي الله عنه وقال: ((لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود)) أخرجه البخاري ح(٥٠٤٨)، ومسلم ح(٧٩٣)، قال أبو موسى: لو كنت أعلمتني لحبَّرت ذلك تحبيراً» هذه الزيادة أخرجها النسائي في الكبرى ح(٨٠٥٨).

- ربط القرآن بواقعك الذي تعيش فيه: ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم خير مثال للمؤمنين، فهذا عبد الله بن مسعود يقول: لما نزلت هذه الآية﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الأنعام: ٨٢، شقّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله: ((ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣)) أخرجه البخاري (٦٩٣٧).

- الترتيل والتمهُّل أثناء التلاوة: روى حذيفة رضي الله عنه: ((أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة فكان يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ)) أخرجه مسلم ح(٧٧٢) .

ثالثاً: وسائل التدبر المنهجية:

- تدارس القرآن مع جمْع إن أمكن: ومن أبلغ الدلائل على هذه الفضيلة قوله: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده..)) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

- الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة: وذلك لمعرفة المعنى الإجمالي للآيات ، دون

ضرورة الوقوف على التفاصيل، فليس من شرط التدبر أن يكون تفصيلياً لكل كلمة، بل قد يكون التدبر بإدراك المعنى الإجمالي.

- إثارة التساؤلات حول الآية: فمن أعظم وسائل التدبر: أن يستثير القارئ الأسئلة حول ما يقرأ.

- معرفة أسباب النزول: لأن كثيراً من الآيات مرتبطة بوقائع ومناسبات شملت في كثير من جوانبها بعض ما تعانيه الأمة من تحديات وما تواجهه من مؤامرات.

- فهم موضوع السورة ومقصدها: وكلما كانت آيات السورة أقل، ظهر للمتأمل موضوعها، وإذا طالت السورة فقد تتعدد موضوعاتها.

- العناية بفهم السياق الذي وردت فيه الآية، أو اللفظة: والمقصود هنا تنبيه المتدبر الذي يروم الوصول إلى المعنى عند اشتباه الأمر عنده أن يعتني بالنظر في السياق.

رابعا: وسائل تنمية التدبر:

- شكر المؤمن ربه على ما هداه إليه من تدبر: وهذا ديدن المؤمن دوماً أن يكل الفضل لصاحب الفضل، وأن يبرأ من حوْله وطوْله إلى صاحب الحوْل والطوْل ﷻ.

- إبراز ثمرة التدبر في التطبيق والتنفيذ: وهذه المقصود الأهم للتدبر، أن يُترجم ذلك كله إلى واقع عمليّ، فنرى للمتدبر خلقاً فاضلاً، وعملاً صالحاً، ومشاركة في الخير وبناء، وتأسياً بالنبي ﷺ واقتداء.

- المواظبة على حزب يومي للتدبر: ووردك اليومي لابد أن تصل فيه لمرحلة بأن يصبح كالغذاء الذي تتألم لفقده.

- التعوُّذ بالله من الشيطان خوفاً من العُجب: وذلك أن القارئ حصّل بقراءته ثواباً، فحتى لا يأتيه الشيطان بالعُجب، ويفوّت عليه ثواب التلاوة ينبغي أن يستعيذ بالله تعالى منه.

اقتراح

أن يجعل المسلم لنفسه وردَيْن بختمتين، الأولى للمراجعة وتثبيت الحفظ حتى لا يتفلّت منه القرآن، وتكون في شهر أو أسبوع أو ثلاثة أيام، والثانية للتدبر، يتأنّى فيها ويتدبر، قد تكون كل شهرين أو ثلاثة، أو سنة.. كلٌ بحسبه، ويدوّن ما يفتح الله تعالى عليه به، فالعلم صَيْد والكتابة قَيده.

وقفة تدبرية

قال تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ الضحى: ٣

انقطع الوحي عن النبي ﷺ ليلتين أو ثلاثا فحزن كثيرًا؛ لأن القرآن كان زاده في الطريق الطويل، ونوره في الظلمات، فأنزل الله تسلية له: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ الضحى: ٣

فعجبًا لمن يودع القران ويهجره أيامًا وأسابيعَ بحجة انشغاله عنه! ما أقلَّ بركةَ عملٍ يشغلك عن كتاب ربك!

تأكيد:

إن التدبر حركة نفسية باطنية! تنظر إلى صيرورة النفس في الزمان والمكان، بالنسبة إلى احتمالين: الأول: احتمال متابعة القرآن والاستسلام لأحكامه وحكمه. والثاني: عكسه، وهو النكوص والتمرد والجحود والعصيان! ففي كلا الأمرين ينظر المتأمل إلى مآل الحال المحتمل! ذلك هو التدبر! ولذلك كان التدبر لغة -كما ذكرنا- نظراً إلى أدبار الحوادث ونتائجها، وربطاً للأسباب بمسبباتها، فيما وقع وفيما يحتمل أن يقع، على المستوى النفسي والاجتماعي. في الخير والشر سواء! إنه إذن ضرب من المحاسبة للنفس في ضوء القرآن، والمراقبة لأحولها، في صيرورتها الذاتية والاجتماعية.




مراحله

١

لا بد من اليقين التام أنك مع القرآن حي وبدونه ميت، مبصر وبدونه أعمى، مهتد وبدونه ضالّ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ الشورى: ٥٢.

٢

خطاب القرآن موجه إلى القلب: وما يؤكد أن القلب هو المخاطب أن الله تعالى قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤
وأعظم داء يصاب به المعرض عن القرآن هو موت القلب وقسوته، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ ق: ٣٧
وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ محمد: ٢٤، تنبيه على عظم أثر الإعراض عن القرآن، فإنّ القلب يحرم من أنوار الوحي.

٣

كيف نقرأ القرآن؟ قد جاء القرآن بالكيفية التي تكون عليها قراءته، ومن ذلك: قوله تعالى ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ الإسراء: ١٠٦
فهذا النص فيه أمر بالمكث وترك العجلة عند القراءة، وعن مجاهد سئل عن رجلين أحدهما قرأ البقرة وآل عمران والآخر قرأ البقرة، وقيامهما واحد، وركوعهما وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل، ثم قرأ: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ الإسراء: ١٠٦.

وعن محمد بن كعب أنه قال: «لأن أقرأ القرآن في ليلتين حتى أصبح بـ: (إذا زلزلت) و(القارعة) لا أزيد عليهما أحبُّ إلي من أن أهذ القرآن هذّاً أو قال: أنثره نثرا. الزهد لابن المبارك، ص ٩٧.

٤

بأي القرآن نبدأ؟: المنهج الذي اتبعه الصحابة في تعلم القرآن: فقد كان البدء بالمفصل أولاً. ففي مصنف عبد الرزاق: أن عمر كان لا يأمر بنيه بتعليم القرآن، ويقول: «إن كان أحد منكم متعلماً فليتعلم من المفصل فإنه أيسر». والمفصل من سورة ق إلى سورة الناس.
ولعل في البدء بالمفصل ما أشارت إليه عائشة رضي الله عنها في الحديث حين قالت: «لقد نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس للإسلام نزل الحلال والحرام».
وهو أيسر في الفهم؛ لأنه محكم ليس فيه متشابه إلا ما ندر، وقد جاء حزب المفصل ليقرّ ثلاث حقائق:

- توحيد الله في ربوبيته وألوهيته.
- إثبات البعث والدار الآخرة.
- الأمر بمكارم الأخلاق.



من موانع التدبر

انشغال القلب أو الجوارح بغير المتلوّ:

من أعظم الصوارف: أن يكون القلب منشغلاً بغير القرآن من التفكير أثناء التلاوة في أمور الدنيا والمال والولد، أو حلّ مشكلة ما، فتصبح العين والأذن عاملتيْن، ويصير القلب والذهن شارديْن.

الوقوف عند جمال الصوت، وانصراف الهمّة إلى تكثير عدد الختمات فقط.
نعم حضّ النبي ﷺ على تحسين الصوت عند تلاوة القرآن، لكن ليس مع التطريب والتغنّي المتكلّف والمخرِج عن حدّ الخشوع والوقوف مع الآيات تدبراً وفقهاً. وكان السلف يقفون مع الآيات ويكررونها مرات ومرات، وربما أمضى أحدهم ليلة كاملة مع آية واحدة، فهذا تميم الداري ﷺ يقوم بآية يردّدها حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ الجاثية: ٢١، وغيره الكثير، حتى قال القرطبي عن هذه الآية: « كانت هذه الآية تسمى: مَبْكاة العابدين» الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٦٦.





الهدي النبوي في تدبر القرآن

أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بتلاوة القرآن وإنذار الناس به، فقال سبحانه: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ العنكبوت: ٤٥

، كما أمره سبحانه وتعالى ببيان القرآن للناس ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٤٤

، فهو المبيّن عن الله تعالى، ولا يكون البيان إلا من عارفٍ عالمٍ بما يبيّنه للناس متدبر له.

وكانت طريقة النبي ﷺ أنه يرتّل القرآن كما أمره الله تعالى، كما روت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سُبحته قاعدا، حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبحته قاعدا، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها» السبحة: النافلة. أخرجه مسلم (٧٣٣).

وكلما أطال المرء القراءة كان أدعى لحضور القلب وارتباطه بما يتلو، وانسجامه مع الآيات التي يقرأها واجتماع الذهن حولها.

وقد بلغ من طول قيامه ﷺ في الصلاة والتهجد بالقرآن أن يطيل القيام حتى يُتعب من يصلي معه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ). أخرجه البخاري ح(١١٣٥)،ومسلم ح(٧٧٣).

وقد أخبر سبحانه وتعالى أن من واجب النبي ﷺ أن يقرأ القرآن على أمته بتمهّل ورويّة، فقال سبحانه: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ الإسراء: ١٠٦

، وذلك لتحصل الاستفادة والاتعاظ من سماع القرآن، وذلك لا يكون إلا مع التمهل وعدم العجلة.

وقد ثبت الترسُّل في قراءة القرآن من فعل رسول الله ﷺ، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلا..)) الحديث خرجه مسلم (٧٧٢).

ولم تكن عادة النبي ﷺ الاستعجال في القراءة، ولم يثبت أنه ﷺ ختم القرآن في ليلة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح». أخرجه مسلم ٧٤٥.

ومن أسباب تدبّر القرآن التي أمر بها النبي ﷺ تحسين الصوت بالقرآن الكريم، وهو قدرٌ زائد على التجويد والترتيل، فقد قال ﷺ: ((زيّنوا القرآن بأصواتكم)). أخرجه أبو داود ح(١٤٦٨)، وصححه الألباني في صحيح السنن (١٣٢٠).

وقد كان النبي ﷺ يستمع إلى بعض الصحابة الذين يُحسِّنون أصواتهم بالقرآن، ويوصي بالقراءة عليهم والتلقّي منهم, فإن الصوت الجميل يجلب السامعين لسماعه، وكلما ازداد تحسينا ازداد حرص الناس على سماعه وعلى التفكر فيه وعدم الانشغال بغيره عنه.

وكان يكرر الآيات، فبالتكرار يتذوق المتدبر حلاوة القرآن، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية : ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ المائدة: ١١٨ رواه أحمد ١٥٦/٥ ، وقال النووي: بإسناد حسن. خلاصة الأحكام ٥٩٥/١.

ومنه الجهر بالقراءة؛ فقد كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن، وبيَّن أن ذلك محمود، ففي الحديث السابق أن أبا هريرة رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به)) ما أذن: أي ما استمع.

وقد سجّل لنا سلفنا الصالح، مع تدبّر القرآن أروع النماذج في السير على هذا الهدي الشريف، ومن ذلك:ما روي عن مسروق قال: قال لي رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح، أو قَرُبَ أن يصبح يقرأ بآية من القرآن يركع فيها ويسجد ويبكي ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ الجاثية: ٢١، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (ح:١٢٣٦).

وعن أبي حمزة رحمه الله: قلت لابن عباس ﷺ: إني سريع القراءة، أقرأ القرآن في مقام، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن أقرأ البقرة فأرتِّلها وأتدبَّرها أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كما تقول»، وفي رواية: «لأن أقرأ البقرة في ليلة أتدبّرها وأفكِّر فيها أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كلّه في ليلة». أخرجه المروزي في مختصر قيام الليل (١/٢١٥).

وقال الحسن رحمه الله: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ، ويتفقدونها في النهار». إحياء علوم الدين، للغزالي (١/٢٧٥).



ثمراته ونتائجه

١. يورث اليقين، ويزيد الإيمان.
٢. به تكون معرفة الطريق إلى الله تعالى.
٣. طريق إلى العمل بما في القرآن من المأمورات، والكف عن المنهيات.
٤. أقوى الأسباب لترقيق القلب وتليينه.
٥. الطريق إلى معرفة ما يحبه الله ويبغضه، وكذا أوصاف أوليائه وصفات اعدائه.
٦. يحمل على محاسبة النفس ومراجعتها.
٧. سبيل إلى الاعتبار والاتعاظ بأمثاله وقصصه.

أهم المواقع الإلكترونية في التدبر:







- www.tadabborq.com
  موقع الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.
- altadabbur.com
  موقع القرآن، تدبر وعمل.
- www.mtadabbor.com
  معهد تدبر لمعلمات القرآن الكريم، معهد لإعداد معلمات القرآن الكريم على منهجية التدبر، وكانت انطلاقته في عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م بترخيص من جمعية مكنون لتحفيظ القرآن الكريم بالرياض.
- alnbaa.com
  هو مشروع قرآني علمي عالمي، يهدف إلى نشر هدي القرآن، ويسعى إلى ترسيخ عظمة القرآن في نفوس الأمة.

أهم المراجع في التدبر

- تعليم تدبر القرآن الكريم. للدكتور هاشم الأهدل عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي بجدة.
- فتح من الرحيم الرحمن في بيان كيفية تدبر كلام المنان، أحمد بن منصور آل سبالك.
- كيف ننتفع بالقرآن الكريم -خطوة نحو تدبر أمثل- د. أحمد البراء الأميري.؟.
- المعين على تدبر الكتاب المبين، الدكتور مجد بن أحمد مكي.





موضوعات القرآن الكريم

تميزت معالجة القرآن الكريم لموضوعاته بشمولية التناول وتنوعها، وقد بلغت موضوعاته في الموسوعة التي أعدها مجمع الملك فهد إلى ١٥٠٠ موضوعا متنوعا تعرض لها القرآن الكريم ما بين إجمال وتفصيل، وهنا نعرض أهم ما تطرق إليه القرآن من موضوعات على النحو التالي:

العقيدة: وقد اشتمل القرآن على آيات كثيرة في العقيدة بداية من الكلام على توحيد الله تعالى وربوبيته وإفراده بالعبادة وما يتعلق بأسمائه وصفاته، وغناه وافتقار خلقه إليه، وكل ما يتعلق بخشية الله وتقواه، ومحبته، وتنزيهه عن الشريك وعما لا يليق به، وانفراده بالأمر والحكم، وما يتعلق بالإيمان وأركانه، والنهي عن الشرك وأنواعه، وعن موالاة الكفار، وما يتعلق بأحكام الكفر والكافرين، وكشف المنافين وصفاتهم، وما يتعلق بالمرتدين وعقوبتهم.

محمد ﷺ: ولأن القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي نزلت على خير الرسل ﷺ، فقد تعرض القرآن الكريم بكل ما يتعلق بصفاته ومآثره وخصائصه وفضل الله عليه وأدب المؤمنين معه، وبعثته وتأييد رسالته، وإسرائه ومعراجه، ومعرفة أهل الكتاب له، وتزكية أمته وصحابته، وافتراء الكافرين عليه، وعصمته وحمايته وتثبيته.

الدين: وتمثل الحديث عنه في حقيقة الإسلام وأنه الدين عند الله، وكذا الدعوة إليه، وبيان حال الجاهلية، والولاء والبراء، وما يتعلق بالأديان الأخرى كاليهود وأحبارهم وإفسادهم في الأرض، وتحريفهم لكلام الله وحرصهم على الحياة، وحسدهم للمؤمنين، وعداوتهم لله وملائكته والمؤمنين، وتكذيبهم وقتلهم للأنبياء، وغرورهم وأمانيهم، وكذلك النصارى وأقوالهم وجرأتهم على الله، وكثير من عقائدهم ومواقفهم، والكلام على الحواريين والرهبان، كما تحدث عن غيرهم كالصابئين والمجوس.

القرآن: وقد شملت آيات عديدة في الحديث عن نزول القرآن وتصديقه للكتب السماوية، وتنزيه القرآن عن الشعر، وكذلك أسماؤه وصفاته وإعجازه، والحث على تلاوته، والكلام على إحكامه، ومحاجة المنكرين والجاحدين، والأخذ بأحكامه والاستشفاء به.

العبـــادات: كما شملت آياته على ذكر العبادات وأنواعها ومنها الإخلاص، والطهارة، وأركان الإسلام، والصدقة، والعمرة، والاستغفار، والدعـــاء، والذكر.

الأخلاق: مبيناً أصول الأخلاق وأنواعها والحث على التخلق بها كالإحسان، والصدق، والصبر، والعفة، والتواضع، والرحمة، والوفاء بالعهد، والابتعاد عن السيء منها كالخيانة، والحسد، والرياء، والكبر، وسوء الظن.

والمرأة: في القرآن لها حضور في كثير من الآيات فيما يتعلق بعفتها وحجابها، وقوامة الرجل عليها، وما يتعلق بأحكام الزواج والطلاق، وفيما يخصها شخصياً من أحكام الحيض والحمل، كما ضرب الأمثال ببعض النساء.

القصص والتاريخ كانت له مساحة كبيرة في كتاب الله تعالى بداية من الأنبياء والرسل عليهم السلام، مع بيان حالهم مع أقوامهم بداية بأولي العزم إلى خمسة وعشرين نبياً ورسولاً، ثم ذكر لقصص السابقين كقصة ابني آدم، وأصحاب الأخدود والسبت والفيل والكهف والقرية، وذي القرنين، وقارون، ولقمان، ومؤمن آل فرعون، ويأجوج ومأجوج، ثم بقصص أهل الكتاب، ونهاية بذكر أحوال النبي ﷺ وغزواته وبعضاً من حياته.

كما تطرقت كثير من الآيات إلى بيان حقيقة الحياة الدنيا ومتاعها والموت وحقيقته، والتوازن بين طلب الدنيا والآخرة، ووصف الجنة والنار وأسمائها وصفاتها، وحال أهلها فيها.

كما حوى على العديد من الآيات بينت العلاقات السياسية وما يتعلق بأمور الحكم والسلم والشورى، والدعوة إلى الجهاد وبيان أدواته، وأحكام الشهداء والأسرى والرقيق، والحديث عن الغزوات، مع بيان أسباب البلاء والنصر والتمكين، وأحكام الهجرة والتغيير.

آية جمعت أصول الأوامر والنواهي في القرآن الكريم

وهي قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠.

عن الحسن البصري قال: (إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه)، رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

في هذه الآية الكريمة يأمر الله عباده بالعدل والإنصاف بصفة مطلقة في كلّ شيء، في التّعامل، والقضاء والحكم، وشؤون الدّين والدّنيا، وسلوك الإنسان مع نفسه ومع غيره، بل وفي الاعتقاد، فلا يعبد بحقّ وعدل غير الله الخالق الرّازق النافع، قال ابن عباس في آية: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ النحل: ٩٠. شهادة أن لا إله إلا الله.

والأمرُ بالإحسان مبدأٌ عامٌّ يشمل علاقةَ العبد بربِّه، فيُحسِنُ في طاعة ربه إخلاصًا ومحبةً ورجاءً وخوفًا وطمعًا، ويشملُ أيضًا: التقرُّب بالمندوبات، والمُسابقة إلى نوافل العبادات، ويشملُ أيضًا: مُحيط الحياة كلها في علاقات الإنسان بالبشرية جمعاء ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ البقرة: ٨٣.

إن الإحسان مبدأٌ يشملُ كل طيبٍ من الأقوال والأفعال من جميع المكارم العالية والأخلاق الحسنة، ويشملُ مقابلةَ الخير بأكثر منه، ومُقابلة الشر بالعفو عنه، والتسامُح بما يجلِبُ ودَّ القلوب، ويشفِي غليلَ الصدور ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ فصلت: ٣٤.

ويأمر الله في هذه الآية بإيتاء ذي القربى أي بصلة الأرحام والأقارب، بالزيارة والمودة والعطاء والتّصدق عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ الإسراء: ٢٦، وقد خصّه بالذّكر مع أنه داخل في الإحسان للاهتمام به والعناية بشأنه.

والفحشاء هي كل أمر يفحش أي يتجاوز الحد، تطلق غالباً على الرذائل الأخلاقية المتعلقة بالفروج لذا فالمنكر أعم من الفحشاء، لأن المنكر يعم جميع

الذنوب والمعاصي والفواحش على اختلاف أنواعها. والبغي قد يندرج ضمن المنكر وهو التعدي والطغيان وتجاوز الحد بظلم الناس والاعتداء على حقوقهم وهو من الذنوب والمنكرات بلا شك، لكنه أفرد بالذكر هنا تنبيهاً على القبح وخطورة الوقوع فيه.

وقد ختمت هذه الآية العظيمة بقوله عز وجلّ: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠، الوعظ هو الإرشاد والنصح فما أعظمها من موعظة وما أجلّه من إرشاد حكيم عليم جل جلاله سبحانه وتعالى! وتأمل قوله تعالى أيضًا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠.

فهذه موعظة لكم لمصلحتكم أنتم لعلكم تتذكرون فتنقلون من آلآم الظلم إلى رحمات العدل، وتخرجون من ظلمات المعصية إلى أنوار الطاعة، وترتفعون من دركات الغفلة إلى معالي القرب من الله.

أفضل المواقع في موضوعات القرآن الكريم:



أفضل الكتب في موضوعات القرآن الكريم:

- كتاب (الجامع لمواضيع القرآن الكريم) لمحمد فارس بركات، وقد طُبع الكتاب في دمشق.
- كتاب (معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم) للدكتور عبد الصبور مرزوق، وهو مطبوع في مصر.
- كتاب (تصنيف آيات القرآن الكريم) للأستاذ محمد محمود إسماعيل، وهو مطبوع في دار اللواء في الرياض.
- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم للأستاذ صبحي عبد الرؤوف عصر، وهو من مطبوعات دار الفضيلة في مصر.
- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم لحسان عبد المنان، تَمَّ نشر من قبل بيتُ

الأمثال في القرآن الكريم

كانت الأمثال قد أخذتْ حَيِّزًا لا يُستهان به في لغة العرب، وكانت جزءًا من ثقافتهم؛ ولأن الخطاب القرآني يُخاطب الناسَ بألسنتهم، فقد كانت الأمثال جزءًا مهمًّا من بين آيات القرآن الكريم، حتى السيوطي ذكر في كتابِه: «الإتقان في علوم القرآن»؛ أنَّ من أعظم علوم القرآن أمثاله» الإتقان في علوم القرآن، (٣٠/١).

ولقد ضرَب الله كثيرًا من الأمثالِ في القرآن الكريم، ففي القرآن ثلاثة وأربعون مَثلاً صريحا، وكم من كلمة تدور على الألسن كمَثَل. جاء القرآن بألخص منها وأحسن؛ فمن ذلك قولهم: القتل أنفى للقتل، مذكور في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، وقولهم: ليس المخبر كالمعاين، مذكور في قول القرآن:﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠.



ومن أهم الفوائد لأمثال القرآن الكريم:

١- التذكير والوعظ. قال تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: ٢١

٢- الحث والزجر.

٣- الاعتبار والتذكير. قال تعالى:﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم: ٢٥

٤- تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس لتثبت في الأذهان.

٥- فيه لون من ألوان الهداية لتغري النفوس بالخير والبر وتمنعها عن الشر والإثم.

٦- في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣

خصائص الأمثال القرآنية وإعجازها:

- إيجاز اللفظ، وإعجاز المعنى.
- جوامع الكلم تتناسب مع تفاوت الأفهام البشرية وتنوع إدراكاتها.
- صدق المماثلة بين المثل والممثل له.
- التنويع في عرض الأمثال، مرة بالعرض المفاجئ وبالتمثيل البسيط وأخرى بالتمثيل المركب.
- البناء على المثل والحكم عليه كأنه عين الممثل له.
- كثيراً ما يحذف من المثل القرآني مقاطع من الصورة التمثيلية، اعتمادا على ذكاء أهل الاستنباط، إذ باستطاعتهم أن يتصوروا في أذهانهم كامل الصورة ويتموا ما حذف منها.

أعظم مثلين في القرآن (المثل المائي والمثل الناري)

وقد أكثر ابن القيم من ذكر هذين المثلين وتقريرهما في كتبه، وبينهما في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومن بينها قوله تعالي في سورة البقرة:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ١٧ - ٢٠

فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين: مثلا ناريا، ومثلا مائيا؛ لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة؛ فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحا ونورا وجعل قابليه أحياء في النور، ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات، وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضئ له وينتفع بها، وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام؛ فاستضاءوا به وانتفعوا به تشبيه الكفار بالمطر المصاحب للظلمة والرعد والبرق وآمنوا به وخالطوا المسلمين؛ ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عنهم وذهب الله بنورهم.

ولم يقل نارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون؛ فهذا حال من أبصر

ثم عمي، وعرف ثم أنكر، ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع إليه ولهذا قال
البقرة: ٨١

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي فشبههم بأصحاب صيب: وهو المطر الذي يصوب أي ينزل من السماء، فيه ظلمات ورعد وبرق؛ فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق؛ فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه. الامثال لابن القيم ص٩.

أهم المراجع:

١ - أمثال القرآن لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

أصل هذا الكتاب جزء من كتاب (إعلام الموقعين) لابن القيم، جاء استطراداً عند شرح وصية عمر بن الخطاب في القضاء، وقد أفرد بالنشر وطبع مستقلا باسم أمثال القرآن.

٢- الأمثال في القرآن الكريم: أنواعها، موضوعاتها، أسلوبها . للدكتور حمد بن عبدالله المنصور.

وهذا الكتاب من أسهل الكتب المؤلفة في أمثال القرآن من حيث العبارة، وسهولة الترتيب والبيان.

٣- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني .

عمد المؤلف إلى التأمل في أصول الأمثال القرآنية وأقسامها وأغراضها وخصائصها، بعد أن تدبر كتب التفسير وعلوم البلاغة وما كتبه الكاتبون حول إعجاز القرآن البياني.

قصص القرآن

اشتمل القرآن العظيم على كم كبير من القصص بلغت ثلث القرآن، وهي منهج ربَّاني مبارك يُعَدُّ خلاصة لتجارب الأمم السَّابقة تظهر من خلالها سنن الله تعالى في الأمم، ومدى تحقق هذه السُّنن في كلِّ مرة تتوفر فيها أسبابُها وشروطُها؛ في أيِّ عصر من العصور، أو أُمَّة من الأمم.

نعم، إنَّه أحسنُ القَصَص، وأصدقُ القَصَص، وأَبْلَغُ القَصَص، كيف لا والله جلَّ وعلا يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ آل عمران: ٦٢، إنَّه داعيةُ الاعتبار والادِّكار: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يوسف: ١١١

وإنَّ ممَّا يزيد هذا القَصَص جلالاً: أنَّه حقٌّ وواقعٌ دون أدنى شكٍّ فيه، قَصَصٌ ربَّانيٌّ، وكلامٌ إلهيٌّ.

مقاصد القصص القرآني، منها:

١- إثبات الوحدانية لله تعالى، والأمر بعبادته: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النحل: ٣٦

٢- إثبات الوحي والرسالة: ففيه دلالة واضحة على صدق نبوَّة محمد ﷺ؛ لأنه كان أمِّيّاً وما طالع كتاباً ولا تتلمذ على أستاذ.

٣- إثبات البعث والجزاء: فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ البقرة: ٢٥٨.

٤- تثبيت النَّبيِّ ﷺ وأُمَّتِه على لزوم الدَّعوة إلى الحقِّ، والصَّبر على العذاب في سبيلها، قال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠

٥- العبرة بأحوال المرسلين وأممهم: للاقتداء بهم في الصَّبر على الأذى، وتبليغ الدعوة والاقتداء بإيمانهم القويّ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الأنعام: ٣٤

٦- بيان جزاء الأمم السَّابقة ونهاية مصيرها: فمن ذلك قول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ الأنعام: ٦

٧- تربية المؤمنين: التَّربية الشَّاملة على العقيدة الصَّحيحة، ونجد ذلك في قصَّة السَّحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام فقضى عليهم فرعون بالصَّلب والقتل، فثبتوا على عقيدتهم رغم فظاعة التَّهديد، وفي قصَّة أصحاب الكهف تربية في الثَّبات على التَّوحيد، والإيمان بالبعث والجزاء.

٨- الدَّعوة إلى الخير والإصلاح، ومنع الفساد: كما في قصة شعيب عليه السلام إذ قال لقومه:﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ٨٥

٩ – مواجهة اليأس بالصبر كما في قصَّة يوسف عليه السلام.

١٠- بيان قدرة الله المطلقة: فلا يوجد في القصص البشري ما حكاه الله تعالى عن قصَّة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها؟ أَمْ يوجد في القصص البشري قصَّة كخلق آدم، ومولد عيسى، وإحياء الطَّير لإبراهيم، وتحوُّل عصا موسى، وقصة موسى مع العبد الصَّالح، وغيرها؟

١١- بيان نعم الله على أنبيائه وأصفيائه: ممَّا يترك أثراً طيباً في نفوس المؤمنين؛ بأنَّ الله تعالى يكافئ أولياءه وأصفياءه.

أنواعه:

- ❖ قصص الأنبياء والرسل وخاصة أولوا العزم منهم كمحمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.
- ❖ قصص الحكماء كلقمان الحكيم وذي القرنين والخضر وعزير.
- ❖ قصص النساء كحواء، آسية بنت مزاحم، امرأة نوح، امرأة لوط، وامرأة العزيز، مريم، هاجر، سارة.
- ❖ قصص الأقوام كقوم ثمود، قوم عاد، أصحاب الرس، أصحاب السبت، أصحاب الجنة، أصحاب الأخدود، أصحاب الكهف.
- ❖ قصص الظالمين كفرعون، قارون، جالوت، قابيل، السامري.
- ❖ قصص الحيوانات كأصحاب الفيل، بقرة بني إسرائيل، ناقة صالح، نملة سليمان، حوت يونس، حمار العزيز، غراب ابني آدم، كلب أهل الكهف، دابة الأرض، هدهد سليمان.

نماذج من قصص القرآن الكريم

- **قصَّة يوسف عليه السلام:**

لقد قَصَّ القرآن الكريم علينا قصَّةَ يوسف، التي تُعتبر من أحسَن القصص؛ لِما تنطوي عليه من فوائدَ جمَّة، وعِبرٍ متعددة، يتعلَّم الشباب مِن هذه القصَّة العفافَ وكيفيَّةَ كبْج الشهوات، إنَّه لدرسٌ عظيم في سموِّ النفس عن النزوات والملذَّات العابرة؛ حيث نقتبس دُررًا نفيسة مِن قصَّة يوسف عليه السلام، واستعاذتِه بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يوسف: ٢٣.

• قصَّة مريم عليها السلام:

نَقتبس مِن قصَّة مريم عليها السلام النموذجَ الحسَن للمرأة الطَّاهرة العفيفة، التي رضيَتْ بقضاء الله، واستسلمَتْ لقدَرِه، لقد عانت السيدة مريم مِن آلام الحمل كسائر النِّساء، وأثقلَتْها الهمومُ والأحزان؛ لِما سيتحدَّث عنها الناس من سوء، أحسَّت مريم بآلام المَخاض فلجأت إلى جِذْع نخلة، وآلَمَتها وحدتها، قال تعالى﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ مريم: ٢٣.

سمعَتْ مريم أثناء تألُّمها صوتًا يناديها مِن تحتها أنْ لا تخافي ولا تحزني كما في الآيات التالية﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ مريم: ٢٤

• قصَّة نوح عليه السلام:

لقد خرَج نوح عليه السلام إلى قومه داعيًا إيَّاهم إلى عِبادة الله سبحانه وتعالى، مبيِّنًا لهم هدفَه ومقصوده مِن الدعوة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الشعراء: ١٠٩؛ أي: لا أطلب منكم على تَبليغ الدَّعوة شيئًا من المال؛ إنَّما أطلب أجري مِن الله، فما هو إلا عامِل لله، ومبلِّغ لرسالة ربِّه، غير أنَّ قومه لم يَستجيبوا له، وقد وصفوا ما دَعاهم إليه بالضَّلال، وليس ذلك فحسب؛ بل إنَّهم قد أصرُّوا على عِنادهم، وكفرِهم، وشِركِهم بالله وحده، ونَقتبس من هذه القصَّة العظيمة ما ينبغي أن يكون عليه الدَّاعيةُ المسلِم؛ من سموٍّ في المقصد، والصَّبر الجميل، والتحلِّي بالحكمة والموعظة الحسنة.



أهم المراجع في القصص القرآني:

١- (القصص القرآني: إيحاؤه ونفحاته) للدكتور فضل حسن عباس.

امتاز هذا الكتاب بالتوسع في رد بعض الشبهات والآراء والنظريات التي طبقت في باب القصص القرآني، كما نبه في بعض المواضع على بعض قضايا الإعجاز في القصص القرآني.

٢- القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث، للدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

وهو كتاب موسع قيم، استوعب فيه المؤلف قصص جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكان سبق له إصدار كتاب (مع قصص السابقين في القرآن) أفردها للحديث عن قصص غير الأنبياء في القرآن وتدبرها وتحليلها.

٣- المستفاد من قصص القرآن للدكتور عبدالكريم زيدان

وهو مفيد جداً للدعاة والمصلحين لما فيه من الفوائد والعبر من قصص الأنبياء وغيرهم ممن وردت قصصهم في القرآن الكريم.

٤- قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

من أجود الكتب وأخصرها في قصص الأنبياء في القرآن الكريم، وهو يذكر القصة أولاً معتمداً على الآيات القرآنية، ثم يستنبط الفوائد والعبر منها بأسلوبه الدقيق.

٥- قصص الأنبياء في القرآن الكريم للدكتور توفيق يوسف الواعي

وهو كتاب منهجي مدرسي متوسع رائع في قصص الأنبياء في القرآن، قدم بين يدي كل قصة بالأهداف العامة ثم السلوكية ثم المعرفية ثم الوجدانية ثم المهارية ثم المحتوى العلمي للقصة معتمداً على الآيات والأحاديث الصحيحة.



مرحلة التصديق واليقين

الايمان له أساسان

التصديق وأهميته

«فذكر بالقرآن من يخاف وعيد»

السلف وتصديقهم بالقرآن الكريم

الإيمان شرط للانتفاع بالقرآن

اليقين

أسباب حصول اليقين

درجات اليقين

أقسام العباد





ملخص

مرحلة التصديق واليقين

فهم القرآن ليس صعباً؛ بل هو كتاب ميسر للفهم، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر: ١٧.



الإيمان له أساسان

٧٩

أحدهما: معرفة ما جاء به الرسول والعلم به، الثاني: تصديقه بالقول والعمل.

طريق أهل القرآن والإيمان

٨١

طريق أهل القرآن والإيمان إنكار ما يبغضه الله ورسوله، ومحبة ما يحبه الله ورسوله، والتصديق بالحق، والتكذيب بالباطل؛ فهم في تصديقهم ومحبتهم معتدلون يصدقون بالحق ويكذبون بالباطل، ويحبون الحق ويبغضون الباطل.

التصديق بآيات الله

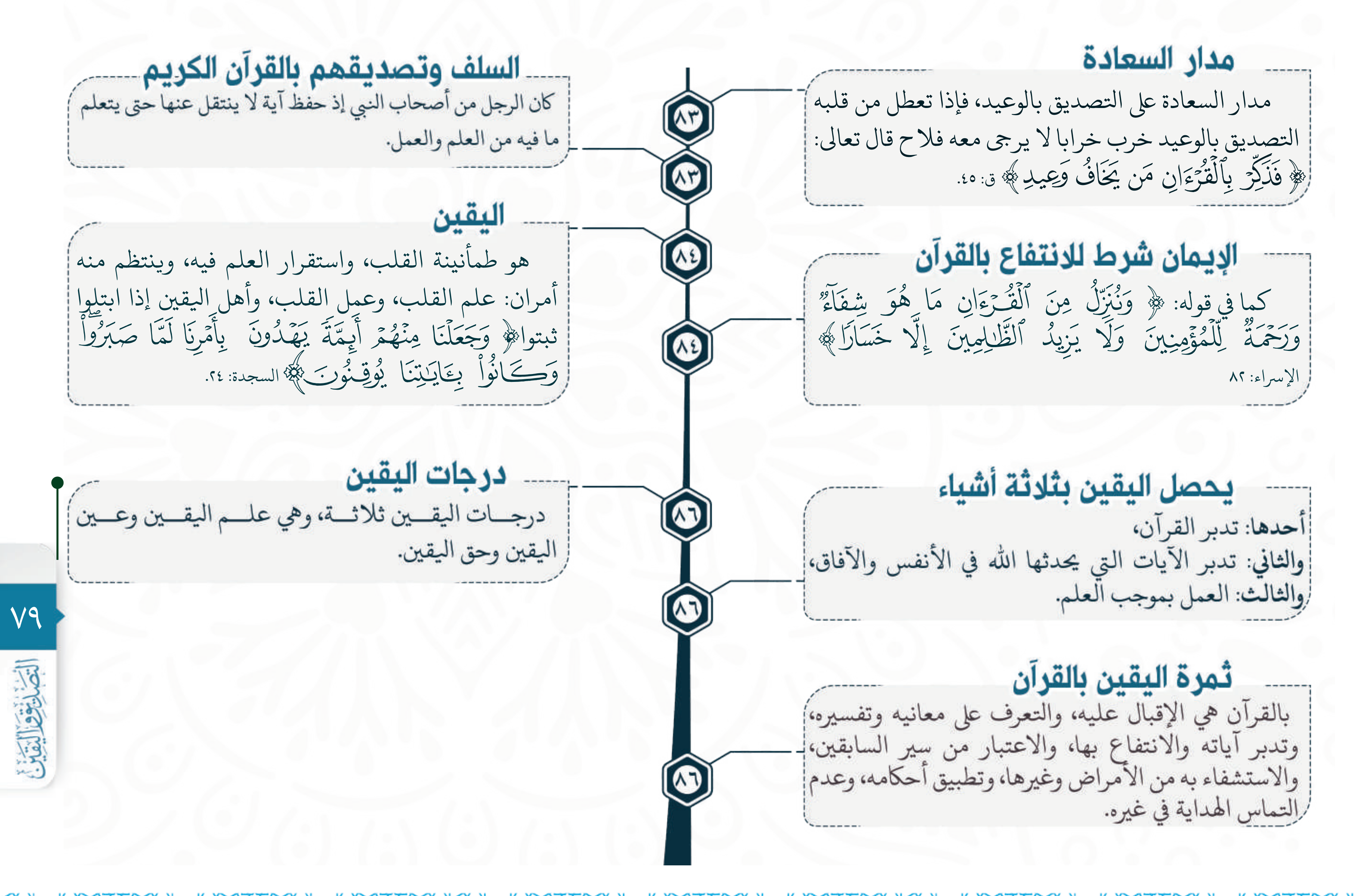
٨١

التصديق بآيات الله تعالى هو التصديق الجازم بانها من عند الله نزلت على رسوله الكريم، قال تعالى " ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ الزمر: ٣٣

التصديق وأهميته



التصديق من الصدق، وهو القوة والصلابة والكمال في كل شيء؛ لذا فإنه نقيض الكذب.



مدار السعادة

(٨٣)

مدار السعادة على التصديق بالوعيد، فإذا تعطل من قلبه التصديق بالوعيد خرب خرابا لا يرجى معه فلاح قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ ق: ٤٥.

السلف وتصديقهم بالقرآن الكريم

(٨٣)

كان الرجل من أصحاب النبي إذ حفظ آية لا ينتقل عنها حتى يتعلم ما فيه من العلم والعمل.

اليقين

(٨٤)

هو طمأنينة القلب، واستقرار العلم فيه، وينتظم منه أمران: علم القلب، وعمل القلب، وأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤.

الإيمان شرط للانتفاع بالقرآن

(٨٤)

كما في قوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾
الإسراء: ٨٢

درجات اليقين

(٨٦)

درجات اليقين ثلاثة، وهي علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

يحصل اليقين بثلاثة أشياء

(٨٦)

أحدها: تدبر القرآن،
والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق،
والثالث: العمل بموجب العلم.

ثمرة اليقين بالقرآن

(٨٦)

بالقرآن هي الإقبال عليه، والتعرف على معانيه وتفسيره، وتدبر آياته والانتفاع بها، والاعتبار من سير السابقين، والاستشفاء به من الأمراض وغيرها، وتطبيق أحكامه، وعدم التماس الهداية في غيره.





أخي القارئ: مما يتعلق بمعالجة العلم أن تصدق به بيقين جازم في قلبك، وهو مرحلة من مراحل القوة العلمية، وهو متداخل بما قبلها من المراحل لكنه يزيد بزيادة الاستماع والتلاوة والحفظ والفهم.

إن كل الآيات في القرآن لا تزيد عن شيئين: إما أن الله يخبرك، وإما أنه يأمرك، ففي أمره عدل وفي إخباره صدق، لذا قال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ الأنعام: ١١٥، وقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٣٣، والتصديق يكون بالاتّباع، فلا يُسمَّى المصدِّق مصدِّقًا بمجرَّد اعترافه بصحة الادّعاء، ولكن باتباعه، بدليل قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات: ١٠٣ - ١٠٥، فجعله مصدِّقًا بمجرَّد العزم وإنْ لم يذبحه؛ فإبراهيم عليه السلام لما رأى الرُّؤيا لم يُكَذِّبها، بل صدَّقها لكن لم يُوصَف بالصِّدق، حتى عزم على تطبيقها.

آية وتفسير

﴿ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ التغابن: ٨

أمر بما يعصم من الهلكة والشقاء، وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه وسماه الله نورًا، فإن النور ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله الله من الأحكام والشرائع والأخبار، أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشى بها في حندس الليل البهيم، وما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها أكثر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها ولا نفع، إلا ما وافق ما جاءت به الرسل، والإيمان بالله ورسوله وكتابه، يقتضي الجزم التام، واليقين الصادق بها، والعمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، واجتناب المناهي {وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} فيجازيكم بأعمالكم الصالحة والسيئة. تفسير السعدي (ص: ٨٦٦).

الايمان له أساسان

أحدهما: معرفة ما جاء به الرسول والعلم به.

الثاني: تصديقه بالقول والعمل، والتصديق بدون العلم والمعرفة محال؛ فإنه فرع العلم بالشيء المصدق به، والعلم من الايمان بمنزلة الروح من الجسد.

وقد أخبر الله عن أهل العلم بأنه ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤

أي ائمة يقتدى بهم فأخبر سبحانه أن بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وهي أرفع مراتب الصديقين.

واليقين هو كمال العلم وغايته فبتكميل مرتبة العلم تحصل إمامة الدين، وهي ولاية آلتها العلم يختص الله بها من يشاء من عباده. مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٣).




يجب على المكلف أن يؤمن بالله ورسوله، ويقر بجميع ما جاء به الرسول: من أمر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما أمر به الرسول ونهى بحيث يقر بجميع ما أخبر به وما أمر به، فلا بد من تصديقه فيما أخبر؛ والانقياد له فيما أمر.

والإيمان طمأنينة ويقين، أصله علم وتصديق ومعرفة، والدين تابع له يقال: آمنت بالله وأسلمت لله. قال موسى:﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ يونس: ٨٤، وطريق أهل القرآن والإيمان إنكار ما يبغضه الله ورسوله، ومحبة ما يحبه الله ورسوله، والتصديق بالحق، والتكذيب بالباطل؛ فهم في تصديقهم ومحبتهم معتدلون يصدقون بالحق ويكذبون بالباطل، ويحبون الحق ويبغضون الباطل.

فالإيمان أصله التصديق بما يأت من عند الله، والتصديق يقوي المحبة ويورثها، إذا حصلت المحبة نبعت الإرادة والعزيمة التي لا تنفك عن العمل إلا إذا وجد العجز، وهذا وحده كاف في دفع العبد لامتثال أوامر الله تعالى وهو العمل، لذ كان أصحاب النبي رضوان الله عليهم أسرع الناس امتثالا للأمر ونواهيه.

والتصديق بآيات الله تعالى هو التصديق الجازم بانها من عند الله نزلت على رسوله الكريم، قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾ الإسراء: ١٠٥، والحق هو القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ الزمر: ٣٣.

والصدق: هو أصل اعمال القلوب كلها ولفظ الصدق يستعمل في ستة معاني:

١- صدق في القول

٢-صدق في الارادة والاخلاص

٣-صدق في العزم

٤-صدق في الوفاء بالعزم

٥-صدق في العمل بان يوافق ظاهره باطنه كالخشوع فالصلاة.

٦-صدق في تحقيق مقامات الدين كلها وهو اعلى الدرجات وأعزها كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر اعمال القلوب فمن اتصف بالصدق في جميع ما ذكر فهو صديق لأنه مبالغ في الصدق قال صلى الله عليه وسلم (عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وام يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا) متفق عليه

ومن التبس عليه الحق فصدق الله في طلبه دون هوى في نفسه وفق اليه غالبا فان لم يصبه عذره الله

وضد الصدق الكذب واول ما يسري الكذب من النفس الى اللسان فيفسده ثم يسري الى الجوارح فيفسد اعمالها كما أفسد على اللسان اقواله فيعم الكذب اقواله واعماله واحواله فيستحكم عليه الفساد.



التصديق وأهميته

التصديق من الصدق، وهو القوة والصلابة والكمال في كل شيء؛ لذا فإنه نقيض الكذب؛ لأن الكذب باطل لا قوة له، ويستعمل الصدق في كل ما يحق ويحصل في الاعتقاد، ومنه قوله تعالى﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ الأحزاب: ٢٣، أي حققوا العهد بما أظهروه من أفعالهم، فقوة المؤمن قوة باطنة تعود لتمام علمه ويقينه وصدق إيمانه وصلابته؛ إذ هي الدافع للعمل الصالح والإحسان فيه، يقول ان القيم عن الصدق: «وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين» المدراج(٢/٦٢٧)، فلا يكون يقينا بلا صدق، كما أن الصدق لا يصدر إلا عن يقين، فمن بلغ درجة اليقين في العلم كان صادقا في علمه، لانتفاء الكذب والشك عنه، ومن كان موقنا لا بدا أن يصدق يقينه بالعمل الموافق لما يعتقده، ولذا كان أهل الجنة يعرفون بأحوالهم لأن معتقدهم يصدقه فعلهم، قال تعالى﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ الزمر: ٣٣، فالصدق هنا القرآن وما فيه من العلم اليقيني،

والتصديق به يعني الإيمان به إيمانا يقينيا والعمل بما فيه، قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ المعارج: ٢٦، أي يوقنون بالميعاد والحساب؛ إذ إنهم حققوا ما يجب عليهم عمله وكما يجب، لذا قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السجدة: ١٢، أي مصدقون. وفي حديث سيد الاستغفار: «من قالها من النهار موقنا بها ...»البخاري ح٥٩٤٧، قال ابن حجر: «أي مخلصا من قلبه مصدقا بثوابها.

«وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام المتضمن لقول اللسان وقول القلب، كقوله صلى الله عليه وسلم «من قال في يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة، حطت عنه خطاياه أو غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» رواه مسلم ح(٢٦٩٢) وليس هذا مرتبا على مجرد قول اللسان.

نعم من قالها بلسانه، غافلا عن معناها، معرضا عن تدبرها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، راجيا مع ذلك ثوابها، حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

- وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل، وطاشت لأجله السجلات لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات، انفردت بطاقته بالثقل والرزانة.

- وتأمل ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية، وحملته - وهو في تلك الحال - على أن جعل ينوء بصدره، ويعالج سكرات الموت، فهذا أمر آخر، وإيمان آخر، ولا جرم أن ألحق بالقرية الصالحة، وجعل من أهلها.

- وقريب من هذا ما قام بقلب البغي التي رأت ذلك الكلب - وقد اشتد به العطش يأكل الثرى - فقام بقلبها ذلك الوقت - مع عدم الآلة، وعدم المعين وعدم من ترائيه بعملها - ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر، وملء الماء في خفها، ولم تعبأ بتعرضها للتلف، وحملها خفها بفيها، وهو ملآن، حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه، فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب، من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكورا، فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء، فغفر لها». باختصار من مدارج السالكين (١/ ٣٣٩)

وإذا كان شخصان يعلمان أن الله حق ورسوله حق والجنة حق والنار حق، وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار، والآخر علمه لم يوجب ذلك؛ فعلم الأول أكمل؛ فإن قوة المسبب دل على قوة السبب، وهذه الأمور نشأت عن العلم؛ فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه؛ والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه؛ فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «{ليس الخبر كالمعاين}، وإن موسى لما أخبره ربه أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها؛ وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن المخبر وإن جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور المخبر به في نفسه كما يتصوره إذا عاينه؛ بل يكون قلبه مشغولا عن تصور المخبر به وإن كان مصدقا به، ومعلوم أنه عند المعاينة يحصل له من تصور المخبر به ما لم يكن عند المخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق. مجموع الفتاوى (٧/ ٢٣٢).

توضيح

الإيمان ليس مجرد التصديق؛ بل لا بد من أعمال قلبية تستلزم أعمالاً ظاهرة، ومعلوم أن الزاني حين يزني إنما يزني لحب نفسه لذلك الفعل فلو قام بقلبه خشية الله التي تقهر الشهوة، أو حب الله الذي يغلبها؛ لم يزن؛ ولهذا قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤

فمن كان مخلصا لله حق الإخلاص لم يزن، وإنما يزني لخلوه عن ذلك، وهذا هو الإيمان الذي ينزع منه لم ينزع منه نفس التصديق ولهذا قيل: هو مسلم وليس بمؤمن؛ فإن المسلم المستحق للثواب لا بد أن يكون مصدقا وإلا كان منافقا؛ والتصديق من الإيمان ولا بد أن يكون مع التصديق شيء من حب الله وخشية الله، وإلا فالتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس إيمانا ألبتة؛ بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس. مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٦).

«فذكر بالقرآن من يخاف وعيد»

ومدار السعادة، وقطب رحاها على التصديق بالوعيد، فإذا تعطل من قلبه التصديق بالوعيد خرب خرابا لا يرجى معه فلاح البتة، والله تعالى أخبر أنه إنما تنفع الآيات والنذر لمن صدق بالوعيد، وخاف عذاب الآخرة، فهؤلاء هم المقصودون بالإنذار، والمنتفعون بالآيات دون من عداهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ هود: ١٠٣، وقال: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ق: ٤٥، وأخبر تعالى أن أهل النجاة في الدنيا والآخرة هم المصدقون بالوعيد، الخائفون منه، فقال تعالى: ﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ إبراهيم: ١٤. مدارج السالكين (١/ ١٦٤)

فائدة جليلة: يقول العلامة ابن القيم: «إن كل آية في القرآن الكريم فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره. فهي حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العقاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم». مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٤١٨).



السلف وتصديقهم بالقرآن

كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذ حفظ آية لا ينتقل عنها حتى يتعلم ما فيه من العلم والعمل، وهذ والله هو حقيقة العلم، قد أخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، عن زياد بن لبيد، قال: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا، فقال: «ذاك عند أوان ذهاب العلم»، قلت: يا رسول الله وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «ثكلتك أمك زياد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود، والنصارى، يقرءون التوراة، والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما؟!».

فحقيقة العلم هو معرفته والعمل به، كان الصحابة يتعلمون الإيمان ثم القرآن، فإذ ما طبقوا أحكامه وعملوا بما فيه زادهم هذ العلم إيمانا فوق إيمانهم.

قال الحسن البصري: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فلم أسقط منه حرفا وقد - والله! - أسقطه كل ما يرى القرآن له فيه خلق ولا عمل، ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة متى كانت القراء مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس أمثالهم]. الزهد (ص/٢٧٦). وتأمل ما قاله أبا بكر بن عياش « ما سبقكم أبو بكر بفضل صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه «. وهو اليقين والإيمان)) مجموع الفتاوى ٢/٢٨٥.

ويقول شيخ الإسلام عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ التوبة: ١٢٤

قال جندب بن عبد الله، وعبد الله بن عمر: تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا، فهم كانوا يتعلمون الإيمان، ثم يتعلمون القرآن، وقال بعضهم في قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ النور: ٣٥

قال : نور القرآن عل نور الإيمان، كما قال: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ الشورى: ٥٢، فالقرآن شاهد من الله يوافق الإيمان ويتبعه، لأنه إنما يراد بإنزال القرآن الإيمان وزيادته؛ ولهذا كان الإيمان بدون قراء القرآن ينفع صاحبه ويدخل به الجنة، والقرآن بلا إيمان لا ينفع في الآخرة ؛ بل صاحبه منافق؛ كما في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: (مثل المؤمن الذ يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمه طيب وريحه طيب ، ومثل المؤمن الذ لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمه طيب ولا ريح له ، ومثل المنافق الذ يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحه طيب وطعمه مر، ومثل المنافق الذ لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمه مر ولا ريح له). الفتاوى / ٢/ ٢٧.

الإيمان شرط للانتفاع بالقرآن

من يتأمل مقاصد القرآن الكريم يجد أن الله جعل الإيمان شرطا في الانتفاع بالقرآن الكريم، كما في قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء: ٨٢.

فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة.

فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها.

وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل. تفسير السعدي (ص: ٤٦٥)

اليقين



وهو من الإيمان منزلة الروح من الجسد... وإذا تزوج الصبر باليقين: ولد بينهما حصول الإمامة في الدين. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة: ٢٤، وخص سبحانه أهله بالانتفاع بالآيات والبراهين. فقال﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ الذاريات: ٢٠، وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ٤ - ٥، وأخبر عن أهل النار:





بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ الجاثية: ٣٢، فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح. وهو حقيقة الصديقية. وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره. باختصار من مدارج السالكين (٢/ ٣٧٤).

> قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: اليقين هو: العلم الحاصل للقلب بعد النظر والاستدلال، فيوجب قوة التصديق حتى ينفي الريب والشك، ويوجب طمأنينة القلب بالإيمان، وسكونه وارتياحه به. فتح الباري ١/١٣

واليقين هو طمأنينة القلب، واستقرار العلم فيه، وضد اليقين الريب.

وينتظم منه أمران: علم القلب، وعمل القلب. فإن العبد قد يعلم علما جازما بأمر؛ ومع هذا يكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم؛ كعلم العبد أن الله رب كل شيء ومليكه؛ ولا خالق غيره؛ فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكل عليه وقد لا يصحبه العمل بذلك؛ إما لغفلة القلب عن هذا العلم، وإما للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات إلى الأسباب وغيرها. وفي الحديث المشهور الذي رواه أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {سلوا الله اليقين والعافية فما أعطي أحد بعد اليقين شيئا خيرا من العافية فسلوهما الله}، وأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا؛ بخلاف غيرهم فإن الابتلاء قد يذهب إيمانه أو ينقصه. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة: ٢٤ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران: ١٧٣. فهذه حال هؤلاء. مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٩)

عن خالد بن معدان، قال: «تعلموا اليقين كما تعلموا القرآن حتى تعرفوه فإني أتعلمه» اليقين لابن أبي الدنيا ص٣.

أسباب حصول اليقين



كما قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٠) يحصل اليقين بثلاثة أشياء:

١- أحدها: تدبر القرآن

٢- والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق. قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ والضمير عائد على القرآن، فبين سبحانه أنه يرى الآيات المشهودة ليبين صدق الآيات المسموعة.

٣- والثالث: العمل بموجب العلم. يثبته ويقرره ومخالفته تضعفه؛ بل قد تذهبه قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الصف:٥

وذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون غافلا عنه؛ أكمل ممن صدق به وغفل عنه؛ فإن الغفلة تضاد كمال العلم؛ والتصديق والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين؛ ولهذا قال عمير بن حبيب من الصحابة إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته؛ وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه وهو كذلك؛ ...قال تعالى:﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات: ٥٥.

وقال تعالى:﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ الأعلى: ١٠ - ١١، ثم لما تذكر الإنسان ما عرفه قبل ذلك؛ وعمل به حصل له معرفة شيء آخر لم يكن عرفه قبل ذلك ...وهذا أمر يجده في نفسه كل مؤمن. وفي الصحيح عن النبي ﷺ (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت). قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢، وذلك أنها تزيدهم علم ما لم يكونوا قبل ذلك علموه وتزيدهم

عملا بذلك العلم وتزيدهم تذكرا لما كانوا نسوه وقال تعالى:﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ ق٦. وعملا بتلك التذكرة وكذلك ما يشاهده العباد من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم.﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ ق: ٧ فالآيات المخلوقة والمتلوة فيها تبصرة وفيها تذكرة: تبصرة من العمى وتذكرة من الغفلة؛ فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف، ويذكر من عرف ونسي، والإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك، حتى كأنها تلك الساعة نزلت؛ فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه ثم كلما فعل شيئا مما أمر به استحضر أنه أمر به فصدق الأمر فحصل له في تلك الساعة من التصديق في قلبه ما كان غافلا عنه، وإن لم يكن مكذبا منكرا. مجموع الفتاوى ٧/ ٢٣٥.

درجات اليقين

١ علم اليقين
٢ عين اليقين
٣ حق اليقين

الدرجة الأولى: **علم اليقين**، وهو التصديق التام به بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة تقدح وأركانه ثلاثة:

الأول: قبول أوامره ونواهيه وشرعه، فنتلقاه بالقبول والانقياد، والإذعان والتسليم.

الثاني: الإيمان بالغيب من أمور المعاد وتفصيله، والجنة والنار، ومن أمور البرزخ، ونعيمه وعذابه.

الثالث: علم التوحيد، الذي أساسه: إثبات الأسماء والصفات.

وهذه الثلاثة أشرف علوم الخلائق: علم الأمر والنهي، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد، وعلم المعاد واليوم الآخر.

الدرجة الثانية: **عين اليقين**، وهي مرتبة الرؤية والمشاهدة وهو المغني عن الخبر بالعيان، قال تعالى:﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الرعد: ١٩ فقد قال: أفمن رأى بعين قلبه أن ما أنزل الله إلى رسوله هو الحق كمن هو أعمى لا يبصر ذلك؟ وقال النبي ﷺ في مقام الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه»، ولا ريب أن تصديق الخبر واليقين به يقوي القلب، حتى يصير الغيب بمنزلة المشاهد بالعين.

الدرجة الثالثة: **حق اليقين**، وهي مباشرة الشيء بالإحساس به، ويكون بالحواس الظاهرة وتارة يكون بالقلب فلهذا قال:﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ الحاقة: ٥١

فإن القلب يباشر الإيمان به ويخالطه كما يباشر بالحواس ما يتعلق بها؛ فحينئذ يخالط بشاشته القلوب ويبقى لها حق اليقين.

وهذه أعلى مراتب الإيمان وهي الصديقية التي تتفاوت فيها مراتب المؤمنين.

فروق

الفرق بين علم اليقين وعين اليقين: كالفرق بين الخبر الصادق والعيان. وما بين العلم والمشاهدة فاليقين للسمع وعين اليقين للبصر وحق اليقين فوق هذا.

قال تعالى:﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ التكاثر: ٥ - ٧

وثمرة اليقين بالقرآن هي الإقبال عليه، والتعرف على معانيه وتفسيره، وتدبر آياته والانتفاع بها، والاعتبار من سير السابقين، والاستشفاء به من الأمراض وغيرها، وتطبيق أحكامه، وعدم التماس الهداية في غيره.

مثال توضيحي:

مثلت الدرجات الثلاثة بمن أخبرك: أن عنده عسلا، وأنت لا تشك في صدقه. ثم أراك إياه. فازددت يقينا. ثم ذقت منه.

فالأول: علم اليقين. والثاني: عين اليقين. والثالث: حق اليقين.

فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم يقين. فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق. وبرزت الجحيم للغاوين. وعاينها الخلائق. فذلك: عين اليقين. فإذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: فذلك حينئذ حق اليقين.

يقول بان القيم في فوائده: وصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن؛ فيجدها كأنها قد كتبت فيه، فهو يقرأها عن ظهر قلب، ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد واعي القلب كامل الحياة، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحي الواعي، فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام وقلبه لتأمله والتفكير فيه وتعقل معانيه؛ فيعلم حينئذ أنه الحق، فالأول حال من رأى بعينه ما دعي إليه وأخبر به، والثاني حال من علم صدق المخبر وتيقنه وقال يكفيني خبره فهو في مقام الإيمان، والأول في مقام الإحسان، هذا قد وصل إلى علم اليقين وترقى قلبه منه إلى منزلة عين اليقين، وذاك معه التصديق الجازم الذي خرج به من الكفر ودخل به في الإسلام؛ فعين اليقين نوعان نوع في الدنيا ونوع في الآخرة؛ فالحاصل في الدنيا نسبته إلى القلب كنسبة الشاهد إلى العين، وما أخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة بالأبصار وفي الدنيا بالبصائر، فهو عين يقين في المرتبتين. الفوائد لابن القيم (ص: ٤).

أقسام العباد

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٧١): «وإذا كانت جميع الحسنات لا بد فيها من شيئين: أن يراد بها وجه الله؛ وأن تكون موافقة للشريعة. فهذا في الأقوال والأفعال؛ في الكلم الطيب؛ والعمل الصالح؛ في الأمور العلمية والأمور العبادية. ولهذا ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ (إن أول ثلاثة تسجر بهم جهنم: رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن وأقرأه ليقول الناس: هو عالم وقارئ. ورجل قاتل وجاهد ليقول الناس: هو شجاع وجريء. ورجل تصدق وأعطى ليقول الناس: جواد سخي) فإن هؤلاء الثلاثة الذين يريدون الرياء والسمعة هم بإزاء الثلاثة الذين بعد النبيين من الصديقين والشهداء والصالحين؛ فإن من تعلم العلم الذي بعث الله به رسله وعلمه لوجه الله كان صديقا؛ ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وقتل كان شهيدا ومن تصدق يبتغي بذلك وجه الله كان صالحا؛ ولهذا يسأل المفرط في ماله الرجعة وقت الموت؛ كما قال ابن عباس: من أعطي مالا فلم يحج منه ولم يزك سأل الرجعة وقت الموت وقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ﴾ المنافقون: ١٠

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩.

فاستوعبت هذه الآية اقسام العباد

١. أعلى هذه المراتب النبوة والرسالة.

٢. الصديقية فالصديقون هم أئمة اتباع الرسل، ودرجتهم أعلى الدرجات بعد النبوة، والصديقية هي كمال الايمان بما جاء به الرسول ﷺ علماً وتصديقاً وقياماً؛ فهي راجعة إلى نفس العلم؛ فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول ﷺ وأكمل تصديقا له كان اتم صديقية فالصديقية شجرة اصولها العلم وفروعها التصديق وثمرتها العمل.

٣. الشهادة.

٤. الولاية.

أهم المراجع:

فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزية.





مرحلة محركات القلوب

- أحوال القلب
- أهمية أعمال القلوب
- أنواع القلب
- أقسام الناس في أعمال القلوب
- أعظم أعمال القلوب هي المحبة
- الأسباب العشرة الجالبة للمحبة
- تأثير القرآن على المؤمنين
- تأثر السلف بالقرآن الكريم
- القرآن ربيع قلبي
- كمال الإنسان بالعلم النافع





ملخص



القلبُ مَلِكُ الأعضاء، وبقيَّةُ الأعضاءِ جنودُه، وهم طائعون له، منبعثون في طاعته،... فإنْ كان الملكُ صالحاً كانت هذه الجنود صالحةً، وإنْ كان فاسداً كانت فاسدةً، ولا ينفع عند الله إلاّ القلبُ السليم.



أحوال القلب

٩٢

القلب يمر بأحوال قبل أن تعمل الجوارح، وهي: الهاجس، الخاطرة، حديث النفس، الهم، العزم.

أعمال القلوب

٩٢

كل عبادة من العبادات لها ظاهر وباطن؛ فالظاهر قول اللسان وعمل الجوارح، والباطن هو قول القلب وعمل القلب، وكلاهما داخل في مسمى العبادة، وأعظم أعمال القلوب وأصولها هي المحبة والخوف والرجاء.

أهميتها

٩٣

خلق الله جل وعلا الخلق **لغاية عظمى، وهي تحقيق العبادة له وحده لا شريك له**، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦، كما أنها اسم يجمع كمال الذل ونهايته، وكمال الحب لله ونهايته، فالحب الخلي عن ذل، والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين، ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله.

أنواع القلب



وهو على ثلاثة، أما صحيح وسليم، أو قلب ميت، وآخرها المريض.

أقسام الناس في أعمال القلوب

أقسام الناس في أعمال القلوب، قسم اعتنَوا بالأعمال الظَّاهرة والاستِكثار منها، وقسم صرَفوا اهتمامَهم بصَلاح قلوبهم، واعتنَوا بأعمال القلوب؛ وقسمٌ توسَّطوا؛ فاعتنَوا بأعمال القُلوب كما اعتنَوا أيضًا بالأعمال الظَّاهرة، غير أنَّ لعمل القلب عندهم فضلًا.

٩٥

أعظم أعمال القلوب هي المحبة

محبة كتابه تتولد بجملة من الأفعال سبق الكلام عليها، وهي: كثرة سماعه، والمداومة على تلاوته، وحفظ سوره وآياته، وتدبر معانيه، وفهم كلماته، والتصديق بما فيه.

٩٥

الأسباب العشرة الجالبة للمحبة

وأهمها قراءة القرآن بالتدبر والفهم، دوام ذكر الله، ومطالعة أسمائه وصفاته.

٩٧

قلب المحب

قلب المحب دائماً في سفر لا ينقضي نحو محبوبه، ويظهر في مواطن أربعة: أحدها: عند أخذ مضجعه، والثاني: عند انتباهه من النوم، والثالث: عند دخوله في الصلاة، والرابع: عند الشدائد والأهوال.

٩٧

تأثر السلف بالقرآن الكريم

وهي وَجَل القلوب، ودموع العيون، واقشعرار الجلود؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر: ٢٣

٩٨

الانتفاع بالقرآن

إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه؛ فانه خاطب منه لك على لسان رسوله قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق: ٣٧

٩٨

كمال الإنسان بالعلم النافع

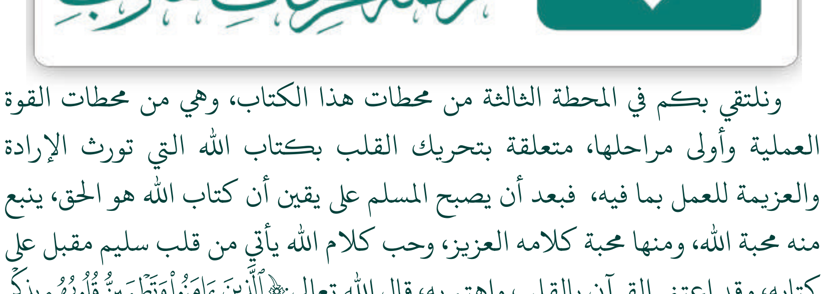
كمال الإنسان إنما هو بالعلم النافع، والعمل الصالح. كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ العصر: ١ – ٣.

٩٩







ونلتقي بكم في المحطة الثالثة من محطات هذا الكتاب، وهي من محطات القوة العملية وأولى مراحلها، متعلقة بتحريك القلب بكتاب الله التي تورث الإرادة والعزيمة للعمل بما فيه، فبعد أن يصبح المسلم على يقين أن كتاب الله هو الحق، ينبع منه محبة الله، ومنها محبة كلامه العزيز، وحب كلام الله يأتي من قلب سليم مقبل على كتابه، وقد اعتنى القرآن بالقلب واهتم به، قال الله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨ وأفضل الذكر الذي يعمر به القلب هو ذكر محبوبه وهو الله تعالى وكلامه الكريم، والقلب له أعمال قد يَغفُل عنها كثيرٌ من النَّاس، مع أنَّها أوَّل ما يَدخل في الإيمان، قال ابن تيمية: «ولا بدَّ أن يَدخل في قوله: اعتِقاد القلب أعمالُ القلب المقارنة لتصديقِه؛ مثل حبِّ الله، وخشية الله، والتوكُّلِ على الله ونحو ذلك». مجموع الفتاوى ٥٠٦/٧.

آية وفائدة

قال الله تعالى لموسى وهارون:﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ طه: ٤٤
وقال في السورة بعينها:﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا﴾ طه: ٩٩، إلى قوله:﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ طه: ١١٣، فذكر في كل واحدة من الرسالتين العظيمتين - رسالة موسى ورسالة محمد - أن ذلك لأجل التذكر أو الخشية ولم يقل: ليتذكر ويخشى ولا قال: ليتقون ويحدث لهم ذكرا؛ بل جعل المطلوب أحد الأمرين وهذا مطابق لقوله:﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ النحل: ١٢٥ ونحو ذلك. بتصرف من مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٣٩)

القلب إذا صَلَحَ، صَلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسد فسد الجسدُ كلُّه

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « فيه إشارةٌ إلى أنَّ صلاحَ حركاتِ العبدِ بجوارحه، واجتنابه للمحرَّمات واتِّقاءه للشُّبهات بحسب صلاحِ حركةِ قلبِه؛ فإنْ كان قلبُه سليماً، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يُحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركاتُ الجوارح كلّها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرَّمات كلها، وتوقي للشبهات حذراً مِنَ الوقوعِ في المحرَّمات.

وإنْ كان القلبُ فاسداً، قدِ استولى عليه اتِّباعُ هواه، وطلب ما يحبُّه، ولو كرهه الله، فسدت حركاتُ الجوارح كلها، وانبعثت إلى كلِّ المعاصي والمشتبهات بحسب اتِّباع هوى القلب.

ولهذا يقال: القلبُ مَلِكُ الأعضاء، وبقيَّةُ الأعضاءِ جنودُه، وهم مع هذا جنودٌ طائعون له، منبعثون في طاعته،...فإنْ كان الملكُ صالحاً كانت هذه الجنود صالحةً، وإنْ كان فاسداً كانت جنودُه بهذه المثابَةِ فاسدةً، ولا ينفع عند الله إلاّ القلبُ السليم. جامع العلوم والحكم (ص: ٧٤).

أحوال القلب

والقلب يمر بأحوال قبل أن تعمل الجوارح:

١-الهاجس: وهو الفكرة أول ما تلقى في القلب.

٢-الخاطرة: وهي ما يثبت فيه.

٣- حديث النفس: وهو التردد هل يفعل أو يترك.

٤- الهم: وهو أن يترجح عنده الفعل.



٥- العزم: وهو قوة القصد والجزم بالفعل. فالثلاثة الأولى لا أجر لها في الحسنة ولا إثم في المعصية، وأما الهم؛ فبالحسنة يكتب له حسنة وبالسيئة لا يكتب عليه سيئة. ثم الهم إذا صار عزما فإن كان على فعل حسنة أُجرّ، وإن كان على فعل معصية أَثمَ ولو لم يعمل؛ لأن الإرادة مع القدرة تستلزم وجود المقدور، قال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ١٩

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتُولَ في النّار، فقلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المقتُولِ ؟ قال: إنه كان حريصاً على قَتَلَ صَاحبِهِ) البخاري .

فإنّ تَرْكَ المعصية بعد العزم على فعلها فهوّ على أربعة أقسام:

١-أن يتركها خوفاً من الله: فهذا يؤجر.

٢- أن يتركها خوفاً من الناس: فهذا يأثم لأن ترك المعصية عبادة ولا بد أن يكون لله.

٣- أن يتركها عجزاً دون أن يفعل الوسائل التي توصل إليها: فهذا أيضاً يأثم بالنيّة الجازمة

٤- أن يتركها عجزاً مع فعل الوسائل التي توصل إليها لكن لم يتحقق مراده؛ فهذا يكتب عليه إثم الفاعل التام؛ لأن الإرادة الجازمة التي أتي معها بالممكن من العمل يجري صاحبها مجرى الفاعل التام - كما تقدّم في الحديث السابق -ومتى اقترنّ العمل بالهم فإنه يعاقب عليه سواء كان الفعل متأخراً أو متقدما، فمن فعل محرما مرة ثم عزم على فعله متى قدر عليه فهو مصر على المعصية ومعاقب على هذه النية وإن لم يعد إلى عمله.

محركات القلوب

محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، **وأقواها المحبة** وهي مقصودة تراد لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يونس: ٦٢، **والخوف** المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده.

والمحبة يحركها شيئان:

أحدهما: كثرة الذكر للمحبوب لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به، ولهذا أمر الله بالذكر الكثير فقال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٤١.

والثاني: مطالعة آلائه ونعمائه قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ٦٩، وقال تعالى:﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ إبراهيم: ٣٤، **وكذلك الخوف تحركه**: مطالعة آيات الوعيد والزجر، والعرض والحساب ونحوه، وكذلك **الرجاء يحركه مطالعة** الكرم والحلم والعفو، وما ورد في الرجاء. باختصار من مجموع الفتاوى (١/ ٩٥).



أهمية أعمال القلوب

خلق الله جل وعلا الخلق **لغاية عظمى، وهي تحقيق العبادة له وحده لا شريك له**،كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦، وهي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

كما أنها اسم يجمع كمال الذل ونهايته، وكمال الحب لله ونهايته، فالحب الخلي عن ذل، والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين، ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله. أمراض القلوب وشفاؤها (ص: ٤٤).

وكل عبادة من العبادات لها ظاهر وباطن؛ **فالظاهر قول اللسان وعمل الجوارح، والباطن هو قول القلب وعمل القلب، وكلاهما داخل في مسمى العبادة**، لذا يقول شيخ



الإسلام: «الأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب» مجموع الفتاوى (١١/٣٨١)، فالصلاة لها ظاهر وهي الأركان والواجبات والسنن، ولها باطن وهو الخشوع والإخبات والإخلاص وغيرها.

والمراد بالأعمال القلبية: هي الأعمال التي يكون محلها القلب، وترتبط به، وأعظمها الإيمان بالله عزوجل الذي يكون في القلب، ومنه التصديق الانقيادي والإقرار، هذا بالإضافة ما يقع في قلب العبد لربه من المحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والصبر، واليقين، والخشوع، وما إلى ذلك.

وكل عمل من أعمال القلب فإن ضده مرض من أمراض القلب؛ فالإخلاص ضده الرياء، واليقين ضده الشك، والمحبة ضدها البغض.. وهكذا، وإذا غفلنا عن إصلاح قلوبنا تراكمت عليها الذنوب فأهلكتها قال ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة فإن هو نزع واستغفر وتاب صقلت فإن عاد زيد فيها حتى تعلو فيه فهو الران التي ذكر الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين: ١٤، رواه الترمذي ح(٣٣٣٤) وقال: حديث حسن صحيح. وقال ﷺ: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والارض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه) رواه مسلم ح (١٤٤).

وأعمال القلوب واجبة على كل مسلم كما تجب عليه أعمال الجوارح، **بل إن أعمال القلوب أشد وجوباً من أعمال الجوارح وآكد منها؛ بل هي أصلها وروحها**، يقول ابن القيم: [وإنما هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبعٌ ومكملة ومُتممةٌ، وإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد والأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث. فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح؛ إذ هي أصلها، وأحكام الجوارح متفرعة عليها] بدائع الفوائد (٣/ ١١٤٠).

والثواب عليها في الدنيا يكون بقبول الطاعات، واستجابة الدعوات، وطمأنينة في القلب وتوفيق للحق وثبات عليه، وأما العقوبة فتكون بحرمان ذلك، وأما في الآخرة فإن الله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ العاديات: ٩ – ١٠، ويقول جل شأنه: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ الطارق: ٩.

وتفاضل العباد عند الله بتفاضل ما في قلوبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: ١٣، والتقوى من عمل القلب، قال ﷺ: «التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات». رواه مسلم رقم (٢٥٦٤). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: [فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض] منهاج السنة (٦/٢٢١-٢٢٢).

والقلب وما فيه من أعمال القلوب هو محل نظر الرب، قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم رقم (٢٥٦٤).قال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» رواه البخاري ح (٥٢)، ومسلم ح (١٥٩٩).

وإنما كان لعمل القلب هذه الأهمية الكبيرة؛ **لأنه سائق النفس وقائدها؛** ولذا «إذا قام بالقلب التصديق بـ (الله) والمحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلوله، كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب؛ فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه؛ كما في الشجرة التي ضرب بها المثل لكلمة الإيمان قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ إبراهيم: ٢٤ - ٢٥، وهي كلمة التوحيد، والشجرة كلما قوي أصلها وعرق وروي قويت فروعها، وفروعها أيضا إذا اغتذت بالمطر والريح أثر ذلك في أصلها، وكذلك الإيمان في القلب والإسلام علانية، ولما كانت الأقوال والأعمال الظاهرة لازمة ومستلزمة للأقوال والأعمال الباطنة كان يستدل بها عليها». مجموع الفتاوى (٧ / ٥٤١، ٥٤٢).

وقال ابن القيم: « فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف، ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجه ذلك من النار، كمان أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار» الفوائد (١٧٩، ١٨٠).



أنواع القلب

١

الأولى: القلب الصحيح: وهو القلب السليم والمنيب؛ ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩؛ والسليمُ: من سلم من كل شهوة تخالف أمر الله أو نهيه، ومن كل شبهة تُعارِض خبره، فسَلِم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله.

٢

الثانية: القلب الميِّت: وهو الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره، بل هو واقف مع شهواته ولذَّاته؛ ولو كان فيها سخط ربه.

٣

الثالثة: القلب المريض: قلبٌ له حياةٌ وبه علَّة، فله مادَّتان، تمدُّه هذه مرةً؛ وهي مادَّة حياته، وأخرى مرَّة؛ وهي الشهوات والحرص عليها وعلى الفساد في الأرض، وهي مادَّة هلاكه وهو ممتحن بين الداعيين.قال تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة: ١٠.

من إغاثة اللهفان (١/ ٧)

أقسام الناس في أعمال القلوب

الأول: قسم اعتنَوا بالأعمال الظَّاهرة والاستِكثار منها من غير حِرص على تَحقيق أعمال القلوب ومنازلِها وأحكامِها، وإن لم يكونوا خالين من أصلها، فترى أحدَهم يقيم الصَّلاةَ غير أنَّه لا يَعتني بخُشوعها وإظهارِ الذلِّ والاستِكانة فيها، ويَعتني بالبعد عن الغيبةِ غير أنَّ قلبه مَخمور بالحِقد والكِبْرِ والعُجب، وهذا حال كثيرٍ من النَّاس، بل وقد يَنتسب أحدهم إلى العلم.

الثاني: قسم صرَفوا اهتمامَهم بصَلاح قلوبهم، واعتنَوا بأعمال القلوب؛ من تَصحيح المحبَّةِ، والخوف والرَّجاء، والتوكُّلِ والإنابة، غير أنَّهم ترَكوا بعضَ ما يحبُّه الله من الأعمال الظَّاهرة؛ كالدَّعوة إلى الله، وتعليمِ النَّاس الخير، ونحوِ ذلك.

فالأوَّلون قصَّروا؛ حيث أَهملوا أعمالَ القلوب ولم يَلتفتوا إليها وعدوها فضلًا أو فضولًا، والآخرون قصَّروا؛ حيث قصَروا نظرَهم وعملَهم عليها، ولم يلتفِتوا إلى كثيرٍ من أعمال الجوارح، وقسمٌ توسَّطوا؛ فاعتنَوا بأعمال القُلوب كما اعتنَوا أيضًا بالأعمال الظَّاهرة، غير أنَّ لعمل القلب عندهم فضلًا، فهؤلاء هم الذين وفَّقهم اللهُ؛ فجمعوا بين عبوديَّةِ الظَّاهر وعبوديَّةِ الباطِن، وهذا طريق السَّابقين العارفين. الفوائد (١٨٠).

أعظم أعمال القلوب هي المحبة

وأعظم أعمال القلوب وأصولها هي المحبة والخوف والرجاء، يقول ابن القيم: «القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر». مدارج السالكين (١/ ٥١٣)، ثم منها يأتي غيرها كالإخلاص والخشوع والخضوع والتضرع والتواضع وغيرها.

وعبادة الله تتضمن كمال محبة الله وكمال الذل لله فاصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود والله هوالإله الذي تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والإجلال والإعظام، والله سبحانه وتعالى أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته وبرجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به. مجموع الفتاوى (١٨/ ٣١٩).

والمحبة الخالصة الحقيقة لله هي في اتباع ما أرسله والعمل به؛ لذا يقول على لسان حبيبه ﷺ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ آل عمران: ٣١.

ومحبة الله تعالى تأتي بعد التصديق الجازم بالله عزوجل، وتتجلى محبته في محبة كتابِه الكريم؛ فمحبتُهُ أصلٌ من أصول الإيمان، وسببٌ من أسباب محبة الرحمن، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من أحبَّ أن يحبَّهُ اللهُ ورسولُهُ فلينظر: فإن كان يحبُّ القرآنَ، فهو يحبُّ اللهَ ورسولَه» أخرجه الطبراني في الكبير برقم ٨٦٧٦؛ والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٢٠١٧؛ ورجاله ثقات.

ومحبة كتابه تتولد بجملة من الأفعال سبق الكلام عليها، وهي: كثرة سماعه، والمداومة على تلاوته، وحفظه سوره وآياته، وتدبر معانيه، وفهم كلماته، والتصديق بما فيه.

قال ابن القيم: وكذلك محبة كلام الله، فإنه من علامة حب الله، وإذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم، فإن من المعلوم أن من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه كما قيل: إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي؟ ... أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي. الجواب الكافي، ص٢٣٥.

قال سهل التستري: من علامات حب الله حب القرآن، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي عليه الصلاة والسلام، وعلامة حب النبي عليه الصلاة والسلام حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، ومن علامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا يبلغه إلى الآخرة. استنشاق نسيم الأنس ص٨٥.

ومن أحب شيئا أكثر من ذكره وذكر كل ما يتعلق به. قال إبراهيم بن علي: من المحال أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم لا يشغلك به عما سواه. قاعدة في المحبة، ص٢٧.

فالمحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له فتحرك محب الرحمن ومحب القرآن ومحب العلم والإيمان .... حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له وربما وتحرك باطنه وظاهره شوقا إليه وطربا لذكره. إغاثة اللهفان (٢/ ١٣٢).

فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك سماعه أعظم من إلتذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم؛ فإنه من المعلوم أن من أحب حبيبا كان كلامه وحديثه أحب شيئا اليه، وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله»، وكيف يشبع المحب من كلام من هو غاية مطلوبه، ...فلمحبي القرآن من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور أضعاف مالمحبي السماع الشيطاني. الجواب الكافي (ص: ١٧٠).

وما اجتمع في قلب عبد قط محبة الغناء ومحبة القرآن إلا طردت إحداهما الأخرى، وقد شاهدنا نحن وغيرنا ثقل القرآن على أهل الغناء وسماعه، وتبرمهم به، وصياحهم بالقارئ إذا طول عليهم، وعدم انتفاع قلوبهم بما يقرؤه، فلا تتحرك ولا تطرب، ولا تهيج منها بواعث الطلب، فإذا جاء قرآن الشيطان فلا إله إلا الله، كيف تخشع منهم الأصوات، وتهدأ الحركات، وتسكن القلوب وتطمئن. ينظر: مدارج السالكين (١/ ٤٨٣).

فاذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الاخلاص ومتابعة النبي ﷺ أثمرت انواع الثمار واتت اكلها كل حين بإذن ربها. وهي أربعة انواع:

١-المحبة في الله والبغض في الله وهي واجبة.

٢-محبة مع الله وهي اشراك غير الله في المحبة الواجبة كمحبة المشركين لآلهتهم وهي أصل الشرك.

٣-محبة الله وهي أصل الايمان.

٤-محبة طبيعية كمحبة الوالدين والاولاد والطعام وهي جائزة وليحبك الله ازهد في الدنيا قال ﷺ (ازهد في الدنيا يحبك الله) ابن ماجه.

وبالجملة فقلب المحب دائماً في سفر لا ينقضي نحو محبوبه، ويظهر في مواطن أربعة:

أحدها: عند أخذ مضجعه وتفرغ حواسه وجوارحه، واجتماع قلبه؛ فإنه لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به.

الموطن الثاني: عند انتباهه من النوم، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه.

الموطن الثالث: عند دخوله في الصلاة، فإنها ميزان الإيمان، يتحقق بها مقامه ومقدار قربه من الله ونصيبه منه، فإنها محل المناجاة والقربة ولا واسطة فيها بين العبد وبين ربه، فإنه لا شيء آثر عند المحب ولا أطيب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له ومثوله بين يديه.

الموطن الرابع: عند الشدائد والأهوال، فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه، ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده. باختصار من طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٠٦).






الأسباب العشرة الجالبة للمحبة

١. قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

٢. التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

٣. دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال.

٤. إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

٥. مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، فمن عرف الله بها أحبه لا محالة.

٦. شاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة.

٧. انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.

٨. الخلوة به وقت النزول الإله.

٩. مجالسة المحبين الصادقين.

١٠. مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

مدارج السالكين (٣/ ١٨).

تأثير القرآن على المؤمنين

قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣، أي هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله؛ لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه:

أحدها: أن سماعهم هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات لأبيات، من أصوات القينات.

الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا، بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ٢ - ٤.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك؛ ولهذا فازوا بالقدح المعلى في الدنيا والآخرة.

باختصار من تفسير ابن كثير (٧/ ٥٥)



تأثر السلف بالقرآن الكريم

تأثَّروا السلف بكلام الله؛ فزالت عنهم أوصاف الجاهلية من الغلظة وقسوة القلوب. فعالج القرآن نفوسهم، وعدل اعوجاج سلوكم، ولهم مع القرآن أحوالٌ، لنا فيها الأسوة الحسنة.

فحالهم عند سماع القرآن هي المذكورة في القرآن، وهي وَجَل القلوب، ودموع العيون، واقشعرار الجلود؛ كما قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال: ٢

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر: ٢٣.

وقد وصف الله الذين أوتوا العلم بالخشوع والبكاء عند استماع القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ الإسراء: ١٠٦ - ١٠٩.

لما اشتد برسول الله ﷺ وَجَعُهُ؛ قيل له في الصلاة؛ فقال: ((مروا أبا بكرٍ فلْيُصَلِّ بالناس)). قالت عائشةُ: إن أبا بكرٍ رجلٌ رقيق، إذا قرأ غَلَبَه البكاء! قال: ((مروه فيصلِّ))؛ رواه البخاري ح ٧١٣، ومسلم ح(٤١٨).

وعن عبدالله بن شداد بن الهاد رحمه الله يقول: «سمعتُ نشيجَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإني لفي آخِرِ الصفوف، إنما أشكو بَثِّي وحزني إلى الله» رواه البخاري ح٧١٦.

عن نافع: كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الحديد: ١٦ يبكي حتى يغلبه البكاء.) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١ / ٣٠٥

سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ إلى قوله تعالى {إن عذاب ربك لواقع، ما له من دافع} قال عمر: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه. رواه ابن أبي الدُّنيا في «الرِّقة والبكاء» ح١٠٠.

وكان تأثرهم بدون تصنع، قال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. قال فقلتُ لها: إن ناسًا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرَّ أحدُهم مغشيًا عليه، فقالتْ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ح (١٨٣٧٩).

وقال القرطبي: «الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوعَ الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً، وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك. وأما المذموم فتكلفه والتباكي ومطأطأة الرأس كما يفعله الجهال ليُروا بعين البر والإجلال وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الإنسان» الجامع لأحكام القرآن: (١ / ٣٧٥).

وقال عكرمة: سُئلتْ أسماءُ بنت أبي بكر: هل كان أحد من السَّلَف يُغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنهم كانوا يبكون. زاد المسير: (١٢٢٨ - ١٢٢٩).

القرآن ربيع قلبي

قوله في حديث الكرب الذي رواه أحمد من حديث ابن مسعود: {اللَّهُمَّ إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله به فرحا} .

الربيع: هو المطر المنبت للربيع ومنه قوله في دعاء الاستسقاء: {اللَّهُمَّ اسقنا غيثا مغيثا ربيعا مربعا} وهو المطر الوسمي الذي يسم الأرض بالنبات، فسأل الله أن يجعله










ماء يحي به قلبه كما يحي الأرض بالربيع، ونورا لصدره، والحياة والنور جماع الكمال كما قال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ الأنعام: ١٢٢، فإن قيل: فلم جمع في المطلوب لنا بين ما يوجب الحياة والنور فقط دون الاقتصار على الحياة أو الازدياد من القدرة وغيرها؟ قيل: لأن الأحياء الآدميين فيهم من يهتدي إلى الحق وفيهم من لا يهتدي، فالهداية كمال الحياة وأما القدرة فشرط في التكليف لا في السعادة فلا يضر فقدها ونور الصدر يمنع أن يريد سواه. ثم قوله: {ربيع قلبي ونور صدري} لأنه والله أعلم: الحيا لا يتعدى محله؛ بل إذا نزل الربيع بأرض أحياها. أما النور فإنه ينتشر ضوءه عن محله. فلما كان الصدر حاويا للقلب جعل الربيع في القلب والنور في الصدر لانتشاره كما فسرته المشكاة؛ في قول:﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ النور: ٣٥ وهو القلب. باختصار من مجموع الفتاوى (١٨/ ٣١٠).

قاعدة جليلة

إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه؛ فانه خاطب منه لك على لسان رسوله قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق: ٣٧، اشار إلى ما تقدم من أول السورة الى ههنا وهذا هو المؤثر، وقوله {لمن كان له قلب} فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ يس: ٦٩ - ٧٠ أي حي القلب، وقوله: {أو ألقى السمع} أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام، وقوله: {وهو شهيد} أي شاهد القلب حاضر غير غائب؛ فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر. الفوائد لابن القيم (ص:٣).

كمال الإنسان بالعلم النافع

لما كان كمال الإنسان إنما هو بالعلم النافع، والعمل الصالح، وهما الهدى ودين الحق، وبتكميله لغيره في هذين الأمرين، كما قال تعالى﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر: ١ - ٣ أقسم سبحانه أن كل أحد خاسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه، فالحق هو الإيمان والعمل، ولا يتمان إلا بالصبر عليهما، والتواصي بهما كان حقيقا بالإنسان أن ينفق ساعات عمره بل أنفاسه فيما ينال به المطالب العالية، ويخلص به من الخسران المبين، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره ، فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد. مدارج السالكين (١/ ٣٠)

فائدة: الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعلم النية، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والاخلاص من غير تحقيق إيمان هباء.

والأعمال ثلاثة أنواع:

١-معاصي: فالنية الحسنة في المعصية لا تقبلها طاعة بالقصد الحسن بل إذا أضيف إليها قصد خبيث تضاعف وزرها.

٢- مباحات: فما من شيء في المباحات إلا وفيه نية أو نيات ويمكن لو اراد ان يكون قربات.

٣- طاعات: وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها ومضاعفة أجرها فان نوى الرياء صارت معصية وشركا أصغرا وقد يصل إلى الأكبر وهو على ثلاثة أوجه:

١-أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الاصل فهذا شرك والعبادة باطلة

٢-أن يكون العمل لله.


مرحلة العمل


الصفحات
١٠٢ -١١٣



ملخص

مَرحَلةُ العَمَل

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ يونس: ٩، إذا أمر الله أمراً خاطب أهل الإيمان؛ لأنهم هم الحريصون على العمل بالقرآن دون غيرهم؛ لأن الإيمان وزيادته دافع للعمل بالقرآن .



أهمية العمل بالقرآن

١٠٤

هو الذي عليه مدار السعادة والشقاوة قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ البقرة: ١٢١، قال عطاء ومجاهد في معنى الآية: يعملون به حق عمله.

وجوب التحاكم إلى كتاب الله

١٠٦

إن من صميم الإيمان الاعتقاد بوجوب التحاكم إلى كتاب الله، وعدم جواز تحكيم غيره من قوانين البشر المخالفة له.

عمل السلف بالقرآن

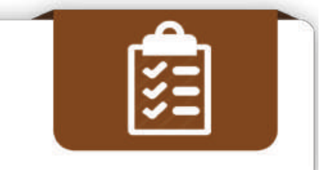
١٠٦

لقد فهمَ الصحابة الهدفَ من نزول القرآن واعتبروه دستوراً يديرون به جميع شؤون حياتهم، حيث كان الصحابة يطبّقون كلّ ما جاء فيه.





تعليم القرآن الكريم
١٠٧
إن تعليم القرآن الكريم وبيانه للناس من أفضل الأعمال وأجل القرب يحظى معلمه ومتعلمه بالخيرية في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).
الاستشفاء بالقرآن
١٠٨
ومن العمل بالقرآن الاستشفاء به، وشفاء القرآن من جميع الأمراض هو سر من أسراره.
الهدي النبوي في الاستشفاء بالقرآن
١٠٩
الهدي النبوي في الاستشفاء بالقرآن، أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى تطبيق القرآن الكريم والعمل بما فيه، ومما أرشدنا إليه التداوي، ومن الدواء الاستشفاء بالقرآن.
السلف واستشفاؤهم بالقرآن
١١٠
اتخذ الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم قدوة لهم في كل شيء، ومنها الاستشفاء بالقرآن الكريم.
كيف تعالج نفسك بالقرآن؟
١١١
وفيه الطريقة المثلى للتداوي بالقرآن وخطوات عملية لذلك، وبعض الآيات الخاصة في بعض الأمراض.
علاج الابتلاءات بالقرآن
١١١
أنواع الابتلاءات التي يمكن علاجها بالقرآن، ومنها العين والسحر والحسد، وجميع الأمراض الحسية والمعنوية.
تنبيهات وأحكام
١١٣
حول الاستشفاء بالقرآن والتداوي به.




ومع المحطة الرابعة، وهي أهم المحطات في هذا الكتاب فيما يتعلق بالعمل بما تسمعه وتتلوه وتحفظه وتفهمه، وتصدقه وتتأثر به من كتاب الله تعالى، ومتعلق بجانب القوة العملية، فالله جعل القرآن نوراً وهدى للناس ليعملوا بما فيه وليلتزموا حدوده، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٣.

ولأهمية العمل بالقرآن نجد كثيراً من الآيات تربط بين الإيمان والعمل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ يونس: ٩، وإذا أمر الله أمراً خاطب أهل الإيمان؛ لأنهم هم الحريصون على العمل بالقرآن دون غيرهم؛ لأن الإيمان وزيادته دافع للعمل بالقرآن.

آية وتفسير

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ البقرة: ١٢١

قال عطاء ومجاهد في معنى الآية: يعملون به حق عمله. وفي قوله تعالى: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ مبالغة في صفة اتباعهم، ولزومهم العمل به.

وترك العمل بالقرآن والإعراض عنه نوع من أنواع هجره الذي حذرنا الله منه وذم فاعله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ الفرقان: ٣٠

ففي هذه الآية أعظم تخويف لمن هجر القرآن العظيم، فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من العقائد، ويعتبر بما فيه من الزواجر والقصص والأمثال.

أهمية العمل بالقرآن

العمل هو الذي عليه مدار السعادة والشقاوة قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ طه: ١٢٣ - ١٢٦.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ البقرة: ١٢١، قال عطاء ومجاهد في معنى الآية: يعملون به حق عمله.

والتالي لكتاب الله العامل به يُوَفَّى أجره ويزيده الله من فضله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ فاطر: ٢٩ - ٣٠.

وقد ذم الله تعالى اليهود على تركهم العمل بما في التوراة من العقائد والعبادات والآداب والأخلاق. وشبههم بالحمار الذي يحمل على ظهره أسفاراً من كتب العلم النافع، وهو لا يدرك ما على ظهره من الخير. فقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الجمعة: ٥. يقول القرطبي: (وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء). تفسير القرطبي (١٨/ ٩٤).

وقال ابن القيم (فقاس من حمّله سبحانه كتابه ليؤمن به، ويتدبره، ويعمل به، ويدعو إليه، ثم خالف ذلك فهو كحمار على ظهره زاملة أسفار، لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته). بتصرف من إعلام الموقعين (١/ ١٢٧).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ

ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦فشبه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات، وأشدها شرها وحرصا، ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم ويستروح حرصا وشرها، وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته، وهو من أمهن الحيوانات، وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا، والجيف القذرة المروحة أحب إليه من اللحم الطري، وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لم يدع كلبا واحدا يتناول منها شيئا إلا هر عليه وقهره لحرصه وبخله وشرهه، ومن عجيب أمره وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية وحال زرية نبحه وحمل عليه، كأنه يتصور مشاركته له ومنازعته في قولته، وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورياسة وضع له خطمه بالأرض، وخضع له، ولم يرفع إليه رأسه». إعلام الموقعين (١/ ١٢٧).

ومما يدلل على أهميته ما رواه سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحدٌ منكم من رؤيا «؟ فيقصّ عليه ما شاء الله أن يقصّ وإنه قال ذات غداة: «إنه آتاني الليلة آتيان،... وإنهما قالا لي: انطلق وإني انطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر ها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إلى الرجل حتى يصحّ رأسُه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى» قال النبي ﷺ: «فقلت سبحان الله ما هذا؟ فقالا لي انطلق» فذكر الحديث وفيه: «أما الرجل الذي أتيت عليه يُثلغ رأسه بالحجر **فهو الرجل يأخذ القرآن فيرفضه** وينام عن الصلاة المكتوبة...»

رواه البخاري ح٧٠٤٧.

قال الحافظ ابن حجر: [قوله: وينام عن الصلاة المكتوبة] هذا أوضح من رواية جرير بن حازم بلفظ «علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار» فإن ظاهره أنه يعذب على ترك قراءة القرآن بالليل بخلاف رواية عوف فإنه على تركه الصلاة المكتوبة، ويحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين ترك القراءة وترك العمل). فتح الباري (١٢/ ٤٤٤).

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (القرآن مشفَّعٌ، وماحِلٌ - خصمٌ مجادل - مصدَّق، **من جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار**) رواه ابن حبان في صحيحه، ح ١٢٤، وقال محققه (إسناده جيد).

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والقرآن حجة لك أو عليك**». رواه مسلم، ح ٢٢٣.

قال القرطبي: (القرآن حجة لمن عمل به واتبع ما فيه، وحجة على من لم يعمل به ولم يتبع ما فيه، فمن أوتي القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من المآثم قبيحاً، ومن الجرائم فضوحاً، كان القرآن حجة عليه وخصماً لديه) التذكار في أفضل الأذكار (١/ ٧٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من قرأ القرآن **وعمل بما فيه** أُلبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم . فما ظنكم بالذي عمل بهذا » رواه أبو داود ح١٤٥٣، وفيه ضعف.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهلَه **الذين كانوا يعملون به في الدنيا** تَقدُمُهُ سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما » رواه مسلم ح(٨٠٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ، إن رسول الله ﷺ عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال : «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن خير الناس رجل عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره، أو على قدميه حتى يأتيه الموت وإن من شر الناس رجلا فاجرا **يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه**» رواه أحمد،ح١١٣١٩، وحسنه محققو المسند.

قال الفضيل بن عياض: **إنما نزل القرآن ليعمل به**، فاتخذ الناس قراءته عملاً! قيل: كيف العمل به؟ قال: أن يحلوا حلاله ، ويحرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره ، وينتهوا عن

نواهيه ويقفوا عند عجائبه. اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (٧٦) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يُسقِط منه حرفًا **وقد أسقط العمل به**» . لمحات الأنوار وري الظمآن (٣/ ١٢٠٤).

وهؤلاء هم الذين لم ينتفِعوا بكتاب الله تعالى، ولم يجدوا بركاته و آثاره الجميلة التي يجدها أهل القرآن حقًّا، ممن علم وعمل.

قال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم، يقول :﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هود: ١٨، وهو ظالم لنفسه﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ آل عمران: ٦١، وهو منهم .

وقال بعض السلف : إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وإن العبد ليفتتح السورة فتلعنه حتى يفرغ منها قيل وكيف ذلك ؟ فقال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته .

وجوب التحاكم إلى كتاب الله

إن من صميم الإيمان الاعتقاد بوجوب التحاكم إلى كتاب الله، وعدم جواز تحكيم غيره من قوانين البشر المخالفة له، والإيمان بوجوب التحاكم إلى كتاب الله يدخل في معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فالإله المعبود بحق هو الحاكم، ومن أجاز التحاكم إلى غير كتاب الله، فقد أخل بمعنى (لا إله إلا الله)، وقد عجب الله تعالى ممن يزعم الإيمان ثم لا يتحاكم إلى ما أنزل، كما قال تعالى﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ النساء: ٦٠ - ٦١.

ونفى سبحانه الإيمان عمن لم يحكم الرسول ﷺ في القضايا التي يخاصم فيها، فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥

وقد نص الله تعالى على أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، ظالم، فاسق، كما قال تعالى:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤،﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المائدة: ٤٥،﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ المائدة: ٤٧.

عمل السلف بالقرآن

لقد فهمَ الصحابة الهدفَ من نزول القرآن واعتبروه دستوراً يديرون به جميع شؤون حياتهم، حيث كان الصحابة يطبّقون كلّ ما جاء فيه، كما أنّهم كانوا لا يقومون بأيّ عمل قبل أن يعرفوا حكمه في القرآن، قال أبو عبد الرحمن السُّلمي رحمه الله: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما: (أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا: القرآن والعمل جميعاً) رواه ابن جرير ١/ ٨٠، قال أحمد شاكر: (هذا إسناد صحيح متصل)، قال ابن عمر رضي الله عنهما: (كان الفاضلُ من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمّة لا يحفظُ من القرآن إلا السورة أو نحوَها، **ورُزِقوا العملَ بالقرآن،** وإنّ آخر هذه الأمّة يُقرِئون القرآن منهم الصبيّ والأعمى، ولا يُرزقون العملُ به). وقال رحمه الله: (كنا إذا **تعلّمنا عشرَ آياتٍ من القرآن** لم نتعلّم العشرَ التي بعدها حتى نعرفَ حلالَها، وحرامَها، وأمرَها، ونهيَها) فضائل القرآن للمستغفري (١/ ٣٢٢).

يقول عبد الله بن مسعود:(إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، **وسهل علينا العمل به**، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به). [القرطبي: ١/ ٤٠].

وهذا الفاروق رضي الله عنه تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر



جزوراً. رواه البيهقي في شعب الإيمان ح١٨٠٥. والمقصود أنه كان يطبق ويعمل بكل آية يحفظها رضي الله عنه.

عن علي رضي الله عنه، قال: «يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم، تلك إلى الله تعالى» رواه الدارمي في سننه، ح٣٩٤.

قال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان. وقال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء: ٨٢.

تعليم القرآن الكريم

إن تعليم القرآن الكريم وبيانه للناس من أفضل الأعمال وأجل القرب يحظى معلمه ومتعلمه بالخيرية في الدنيا والآخرة، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخاري ح(٤٦٣٩).

«وتعليم المتعلمين -أي القرآن- فرض كفاية، فإن لم يكن من يصلح له إلا واحد تعين عليه، وإن كان هناك جماعة يحصل التعليم ببعضهم فإن امتنعوا كلهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين» التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص:١٣).

وتعليم القرآن الكريم باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله عز وجل ومجالاتها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والدعاء إلى الله تعالى يقع بأمور شتى، من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع» فتح الباري لابن حجر (١٤/٢٤٥).

بل إن معلم القرآن والعامل به من خيار الأمة، فهو خيار من خيار، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ آل عمران: ١١٠

وقد توعد الله الذين يكتمون القرآن ولا يُعلّمونه ولا ينشرونه ولا يبينون أحكامه للأمة بالطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ البقرة: ١٥٩

وتعليم القرآن وتعلمه من أشرف العلوم وأعلاها منزلة، والمشتغلون به داعون إلى الخير، وأعظم الخير نشر العلم، نفع تعليم القرآن من النفع المتعدي الدائم الذي يثاب عليه صاحبه ولو بعد مماته، فعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن النبي ﷺ قال: ((من علَّم علمًا فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل)) رواه ابن ماجه ح (٢٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٦٣٩٦).

وقد قام الصحابة وسلف هذه الأمة بهذا الشرف، وحثوا غيرهم عليه فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «عليكم بالقرآن فتعلَّموه وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظًا لمن عقل» رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٢٢).

وقد كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يعلم الناس القرآن بمسجد البصرة مع كثرة مسؤولياته؛ لأنه أمير البصرة، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «بعثني الأشعري إلى عمر، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت: تركته يعلم الناس، فقال عمر: إنه

كيِّس، ولا تسمعها إياه» سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٣٩٠).

وكانوا رحمهم الله يحرصون على تعليم أبنائهم القرآن وهم في سن مبكرة؛ لأن التعليم في الصغر أدعى للحفظ والفهم والإتقان، وكان من شروطهم في طلب العلم تعلُّم القرآن وحفظه، يقول الإمام النووي رحمه الله: «كان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن» المجموع للنووي (١/٣٨).

فاجعل أخي المسلم من ذلك زادك النافع الذي تتزوَّد به لمعادك.

ألا يسرُّك أخي أن تأتي يوم المعاد فتجد في صحيفتك ثواب قراءة وحفظ فلان للقرآن ومن هو علمهم؟! فأنت يومها السعيد، الفائز حقًّا.

الاستشفاء بالقرآن

ومن العمل بالقرآن الاستشفاء به، وشفاء القرآن من جميع الأمراض هو سر من أسراره، نؤمن بذلك بلا شك فيه، كيف لا؟، وقد ذكر الله تعالى في بضع آيات كريمات أنه شفاء، قال ابن القيم: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، ...وإذا أحسن العليل التداوي به بصدق وإيمان وقبول تام، واعتقاد جازم واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبدا، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء؟ الذي لو نزل على الجبال لصدعها وعلى الأرض لقطعها، ...وأما الأدوية القلبية، فإنه يذكرها مفصلة، ويذكر أسباب أدوائها وعلاجها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ العنكبوت: ٥١، فمَن لم يَشْفِه القرآن، فلا شفاه الله، ومَن لم يَكفِه، فلا كفاه الله» زاد المعاد (٤ / ٣٥٢).

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٥٧.

القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع، وأمراض الشبهات القادحة في العلم؛ وقد ضرب الله عزوجل مثلا للشبهات في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس: ٧٨ - ٨٣، فأخبر أن هذا الجاحد لو ذكر خلقه لما ضرب المثل؛ بل لما نسي خلقه ضرب المثل فتحت قوله﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ ألطف جواب وأبين دليل، فتضمنت هذه الآيات عشر أدلة للجواب على هذه الشبهة.

وضرب مثلا للشهوات كما في قوله تعالى: مبيِّنًا حقيقة هذه الدنيا﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ الحديد: ٢٠.

وهذا فيه من المواعظ، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة، وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، ونمتا على تكرر ما يرد إليها من معاني القرآن أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه، وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرَّفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين، وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية تبعته الجوارح كلها؛ فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده». تفسير السعدي (٢/٣٢٦).

يقول الفخر الرازي: « فإن قيل: ولم خص كونه هدى وبشرى بالمؤمنين مع أنه كذلك بالنسبة إلى الكل؟

الجواب من وجهين: الأول: أنه تعالى إنما خصهم بذلك؛ لأنهم هم الذين اهتدوابالكتاب، فهو كقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢.

والثاني: أنه لا يكون بشرى إلا للمؤمنين؛ وذلك لأن البشرى عبارة عن الخبر الدال على حصول الخير العظيم، وهذا لا يحصل إلا في حق المؤمنين؛ فلهذا خصهم الله به» التفسير الكبير للرازي (٣/٢١٣).

فائدة

ومن النكت اللطيفة في الآية: أن الله وصف القرآن بأنه شفاء، ولم يصفه بأنه دواء، وهذا يدل على تحقق حصول النتيجة عند الاستشفاء به، وهي زوال الداء بخلاف الدواء؛ فإنه قد يحصل به الشفاء وزوال الداء، وقد لا يحصل، فالحمد لله على منه، وكرمه، وجعله كلامه بين أيدينا، نقرأه ونستشفي به متى شئنا، لا يحول بيننا وبينه أحد.

ومن الآيات قوله تعالى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ الإسراء: ٨٢.

قال ابن القيم: «ومن المعلوم أنَّ بعض الكلام له خواصُّ ومنافعُ مُجرَّبة، فما الظنُّ بكلام ربّ العالمين!، الذي فَضْلُهُ على كل كلامٍ كفضلِ اللهِ على خلقه، الذي هو الشفاءُ التام، والعِصْمةُ النافعة، والنورُ الهادي، والرحمة العامة، الذي لو أُنزِلَ على جبل لتَصَدَّعَ من عظمته وجلالته، قال تعالى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، و﴿ من﴾ ههنا لبيان الجنس، لا للتبعيض، هذا أصَحُّ القولين». زاد المعاد (٤/ ١٧٧)، فكل القرآن شفاء.

وقوله تعالى:﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ فصلت: ٤٤.

يقول السعدي: « أي: يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية والأسقام القلبية؛ لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق وأقبح الأعمال....والذين لا يؤمنون بالقرآن لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيرا؛ لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى بإعراضهم وكفرهم» تفسير السعدي: (٤/٤٠٣).

الهدي النبوي في الاستشفاء بالقرآن

أرشد النبي ﷺ إلى تطبيق القرآن الكريم والعمل بما فيه، ومما أرشدنا إليه التداوي عموما فقال (...عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء، غير داء واحد)، قالوا: ما هو؟ قال: الهرم. رواه أحمد ح(١٨٤٥٤)، والترمذي (٢٠٣٨)، وقال: حسن صحيح.

ومن الدواء الاستشفاء بالقرآن فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه» رواه البخاري ح(٥٠١٦)، ومسلم ح(٢١٩٢)؛ بل في حديث آخر أمرها بأن تعالج امرأة بالقرآن، حيث قالت: أن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها فقال: (عالجيها بكتاب الله). رواه ابن حبان (٦٠٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٣١).

والقرآن شفاء لجميع الأمراض الحسية والمعنوية فعن علي، قال : «بينا رسول الله ﷺ ذات ليلة يصلي، فوضع يده على الأرض فلدغته عقرب، فتناولها رسول الله ﷺ بنعله فقتلها، فلما انصرف، قال: (لعن الله العقرب، لا تدع مصليا، ولا نبيا، ولا غيره ثم دعا بملح وماء، فجعله في إناء، ثم جعل يصبه على إصبعه حيث لدغته، ويمسحها ويعوذها بالمعوذتين)».وفي رواية: «ويقرأ:﴿ قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿ قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿ قل أعوذ برب الناس﴾» وفي رواية: «وجعل يمسح عليها، ويقرأ:﴿ قل هو الله أحد﴾ و﴿ قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾» رواه ابن أبي شيبة (٢٣٥٥٣)، والطبراني في الأوسط (٥٨٩٠)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٥٤٨).



هدي السلف في الاستشفاء بالقرآن

واتخذه الصحابة من بعده قدوة لهم في كل شيء، ومنها الاستشفاء بالقرآن الكريم فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال أبو سعيد: نعم، والله إني لأرقي، ولكن - والله- لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم، حتى تجعلوا لنا جعلا -مالا- فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ:{الحمد لله رب العالمين}-في رواية قرأها سبع مرات- ، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة-علة، قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له، فقال: ((وما يدريك أنها رقية؟))، ثم قال: ((قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهما)) فضحك رسول الله ﷺ. رواه البخاري ح(٥٠٠٧), ومسلم ح(٢٢٠١).

وسار السلف من بعدهم على هذا النهج، ومن العجب أن ترى أثر القرآن في شفائه حتى في شرب الآيات المكتوبة، والقرآءة على الماء وغيره، قال ابن القيم: «ورخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن وشربه، وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه» زاد المعاد (٣٥٨/٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله وذكره بالمداد المباح، ويغسل، ويسقى، كما نص على ذلك أحمد وغيره» مجموع الفتاوى (١٩ / ٦٤).

يقول ابن القيم رحمه الله في معرض تقريره للاستشفاء بفاتحة الكتاب بعد أن ذكر هذا الحديث: «فما الظنُّ بفاتحة الكتاب التي لم يُنـزل في القرآن، ولا في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزَّبور مِثلُها، المتضمنة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على ذكر أُصول أسماء الرب تعالى ومجامعها، وهى: الله، والرَّب، والرحمن، وإثبات المعاد، وذكرِ التوحيدين: توحيدِ الربوبية، وتوحيدِ الإلهية، وذكر الافتقار إلى الربِّ سُبحانه في طلبِ الإعانة وطلب الهداية، وتخصيصه سبحانه بذلك، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعِهِ وأفرَضِه، وما العبادُ أحوج شيء إليه، وهو الهدايةُ إلى صِراطه المستقيم، المتضمن كمالَ معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمرَ به، واجتنابِ ما نَهَى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات، ويتضمن ذِكْر أصنافِ الخلائق وانقسامهم إلى مُنْعِمٍ عليه بمعرفة الحق، والعمل به، ومحبته، وإيثاره، ومغضوب عليه بعدُوله عن الحق بعد معرفته له، وضال بعدم معرفته له، وهؤلاء أقسامُ الخليقة مع تضمنها لإثبات القَدَر، والشرع، والأسماء، والصفات، والمعاد، والنبوات، وتزكيةِ النفوس، وإصلاح القلوب، وذكر عدل الله وإحسانه، والرَّدِّ على جميع أهل البدع والباطل... وبالجملة: فما تضمنته الفاتحةُ مِن إخلاص العبودية والثناء على اللهِ، وتفويضِ الأمر كُلِّه إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النِّعَم كُلِّها، وهى الهداية التي تجلبُ النِّعَم، وتدفَعُ النِّقَم، من أعظم الأدوية الشافية الكافية» زاد المعاد (٤/ ١٧٧-١٧٨).









أنواع الابتلاءات التي يمكن علاجها بالقرآن

العين كما قال تعالى:﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ الكهف: ٣٩وكان النبي صلي الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بقوله (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) رواه أبو داواد، صححه ٤٧٣٧، وأوصي النبي زوجة جعفر بن أبي طالب برقية أبناءها من العين عندما رأى أجسادهم ضعيفة وقال لأسماء بنت عميس: «ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة « قالت لا، ولكن العين تسرع إليهم، قال: « ارقيهم» قالت: فعرضت عليه، فقال:«ارقيهم». رواه مسلم ح ٢١٩٨، وحديث النبي عندما رأى جارية عند أم سلمه رضي الله عنها بها تغير في لون وجهها بها نظرة، فاسترقوا لها. رواه مسلم ح٢١٩٧.

ومنها الحسد كما قال تعالى:﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ النساء: ٥٤، ومنه حديث رُقْية جبريل للنبي صلي الله عليه وسلم (بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك)، والملاحظ الآن بالتجربة أن الإصابه بالعين والحسد كثيرة جدا وذلك من قلة دعاء المؤمنين لأنفسهم ولإخوانهم بالبركة.

والفرق بين العين والحسد، فالحسد يقصده الحاسد، أما العين فقد يقصدها العائن وقد لا يقصدها.

ومنها المس أو اللبس كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠١، ومنه حديث الصحابي عثمان بن أبي العاص استعمله الرسول صلي الله عليه وسلم علي الطائف، فشكا له وساوس تأتيه، وأن الشيطان يعرض له في صلاته، وينسيه حفظ القرآن، فضرب الرسول صدره وتفل في فمه، وقال اخرج عدو ثم قال له رسول الله: «إذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل علي يسارك ثلاثا» رواه مسلم ح(٢٢٠٣).

السحر هو فعل يفعله ساحر باستخدام الشياطين كما قال تعالى:﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ البقرة: ١٠٢، ومنه حديث: «اجتنبوا السبع الموبقات وذكر فيها السحر» رواه البخاري ح٦٨٥٧، ومسلم ح٨٩ .

ولا حرج أن يتداوي مع القرآن بأدوية أخري ففي الحديث (عليكم بالشفاءين العسل والقرآن) رواه ابن ماجه ح ٣٤٥٢، والحاكم ح٧٤٣٥ وصححه، قال ابن القيم: «فجمع الرسول صلي الله عليه وسلم بين الطب البشري والإلهي، وبين طب الأبدان والأرواح، وبين الدواء الأرضي والسمائي». الطب النبوي لابن القيم (ص: ٢٨).

وشيخ الإسلام ابن تيمية سأله سائل هل العلاج بالقرآن والرقي مشروع فأجابه: أنه من أفضل الأعمال، وهو من أعمال الأنبياء والصالحين؛ فإنه مازال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أمر الله ورسوله. مجموع الفتاوي (١٩/٥٦-٥٧).

كيف تعالج نفسك بالقرآن؟

لقد كثرت الأمراض النفسية والروحية والعضوية في هذا العصر، وتعددت أنواعها وأشكالها وخرجت علينا أمراض جديدة ما كانت معروفة في السابق، واجتهد الناس في علاج ما أصابهم منها، فبذلوا الأموال والأوقات، وإن مما يغيب على الناس الاستشفاء به هو كتاب الله تعالى، وقد مر بنا فاعليته في ذلك، لكن لابد علينا أن نعلم أن الله عز وجل هو الذي خلق الصحة والمرض وخلق أسبابهما، وهو الشافي يشفى بسبب خلقه وقدّره، أو يشفى بغير سبب، له الأمر من قبل ومن بعد، له الحكمة البالغة لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، هو الشافي لا شفاء إلا شفاؤه شفاءً لا يغادر سقمًا.





وعلينا عند الاستشفاء بالقرآن الكريم أن نستشعر ما يلي: -

١.إخلاص النية لله سبحانه.

٢.صدق التوجه إلى الله واليقين بأن الله يشفي بالقرآن.

٣.تحصين أنفسنا وأهلنا بالتحصينات الشرعية (الفاتحة وآية الكرسي وأواخر سورة البقرة والإخلاص والمعوذتين والأذكار النبوية).

والرقية يجب أن يتوفر فيها أمور: -

١.أن تكون بلسان عربي كما نزل القرآن الكريم.

٢.أن تكون من كلام الله والأذكار الشرعية الصحيحة.

٣.ألا يعتقد أنها تنفع بذاتها بل بإذن الله وحده.

من الأداب التي ينبغي للمعالج الذي يعمل بمهنه العلاج أن يلتزم بها:

١.قوة اليقين بأن القرآن سبب للشفاء وأن الشفاء من الله وحده.

٢. الالتزام بالعقيدة الصحيحة والتوكل على الله.

٣.التخلق بأخلاق القرآن والعلم بأحكامه.

٤.صدق التوجه إلى الله وعدم التأثر بمدح الناس أو ذمهم وسخريتهم.

٥.البعد عن الذنوب فإنها سبب تجرأ الشيطان على الإنسان.

٦.التواضع وعدم الاستكبار وبيان أنه مجرد سبب وأن الله أنزل الشفاء بالقرآن.

٧.التعوذ الصحيح الذي تواطأ عليه القلب واللسان.

٨.تحصين نفسه وأهله بكلام الله والأذكار الشرعية الصحيحة.

٩.الممارسة علي يد خبير في هذا العلم.

ذكر بعض الآيات الدالة على الاستشفاء ببعض الأمراض:

١-قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٤٧١): «كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها - من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة - قال: فلما اشتد علي الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرءوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قلبة.

وقد جربت أنا أيضا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه. فرأيت لها تأثيرا عظيما في سكونه وطمأنينته.

آيات السكينة هي:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البقرة: ٢٤٨.

الثاني: قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ التوبة: ٢٦

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ التوبة: ٤٠ .

الرابع: قوله تعالى﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الفتح: ٤.

الخامس: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ١٨.








السادس: قوله تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الفتح: ٢٦.

٢- وفي زاد المعاد (٤/ ٣٢٦): قال المروزي: بلغ أبا عبد الله أني حممت، فكتب لي من الحمى رقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله، وبالله، محمد رسول الله، ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ الأنبياء: ٦٩ - ٧٠، اللّهُمَّ رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك، إله الحق آمين.

٣- وفيه زاد المعاد (٤/ ٣٢٧)عن عبد الله بن أحمد: قال رأيت أبي يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها في شيء نظيف، يكتب حديث ابن عباس رضي الله عنه: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ﴾ الأحقاف: ٣٥ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ النازعات: ٤٦ .

٤-وفيه (٤/ ٣٢٨) كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يكتب على جبهته ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ هود: ٤٤. وسمعته يقول: كتبتها لغير واحد فبرأ، فقال: ولا يجوز كتابتها بدم الراعف، كما يفعله الجهال، فإن الدم نجس، فلا يجوز أن يكتب به كلام الله تعالى.

٥- وفيه (٤/ ٣٢٩) يكتب على الخد الذي يلي الوجع: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الملك: ٢٣، وإن شاء كتب ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الأنعام: ١٣ .




تنبيهات وأحكام

١- إن القرآن شفاء لكل مسلم من جميع الأمراض الحسية والمعنوية.

٢- لا يتوقف شفاء القرآن على قراءة أحد معين، بل هو شفاء لكل أحد، وبقراءة كل مسلم.

٣- إن الشفاء بكلام الله لا بالراقي.

٤- أولى الناس بالرقية هو المريض نفسه قبل أن يذهب لأحد.

٥- الاستشفاء بالقرآن ثابت من فعل الرسول ﷺ إقراره، ومن فعل أصحابه والتابعين لهم بإحسان.

٦- الاستشفاء بالقرآن يكون بالقراءة وحدها، أو بالقراءة مع النفث، أو بالقراءة مع التفل, أو بالقراءة مع النفث والمسح.

٧- الاستشفاء بالقرآن يجهله الكثير أو يغفلون عنه، فيجب على طلبة العلم أن يظهروا ذلك، ويدعوا الناس إليه.

٨- حتمية التأدب بآداب الرقية والالتزام بشروطها الشرعية عند الاستشفاء بالقرآن.

٩- الالتزام بالصفات الواردة في كيفية الاستشفاء بالقرآن.

١٠- مشروعية الاستشفاء بالدعوات النبوية الصحيحة.

١١- مشروعية الرقية بالماء.

١٢- مشروعية الرقية بوضع الإصبع على الأرض، ثم وضعها على المريض.

١٣- جواز كتابة القرآن في أوراق، ثم صب الماء عليه، ثم يشربه المريض.

١٤- جواز أخذ شيء من المال مقابل الرقية، لكن بشرط عدم المبالغة في ذلك.





- القرآن والأخلاق
- أهمية الأخلاق
- أقسام الأخلاق
- الهدي النبوي في الأخلاق
- ارتباط الأخلاق بالعقيدة
- أصول الأخلاق
- أثر الأخلاق





ملخص

مَرحَلةُ التَّخَلُّق



مجيئه صلى الله عليه وسلم يتلخص في إتمام البناء الأخلاقي الذي شيده من سبقه من الأنبياء والمرسلين، وبيانه في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".



القرآن والأخلاق

١١٨

لقد ذكر الله من الأخلاق العالية، والصفات السامية، وكان منهجه في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم، غرس معاني الأخلاق الجيِّدة فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ الرعد: ١١.

أجمع الآيات في الأخلاق

١١٩

أجمع الآيات في الأخلاق قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩.

أهمية الأخلاق

١١٩

لقد حث الإسلام على مكارم الأخلاق، وبين صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث أهمية حسن الخلق وفضله.

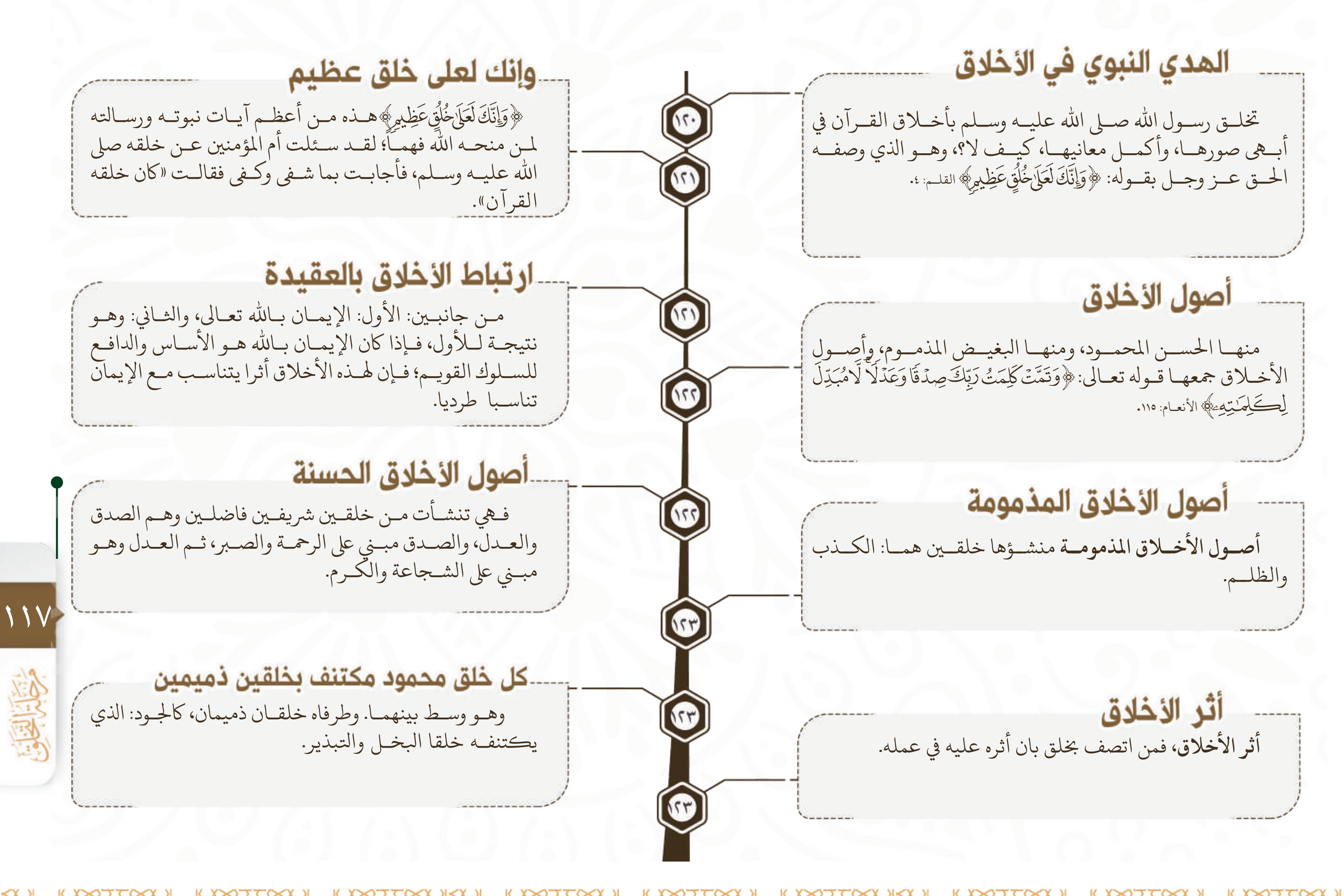
أقسام الأخلاق

١٢٠

أخلاق فطرية، تظهر في الإنسان من أول حياته وبداية نشأته، وأخلاق مكتسبة من البيئة الطبيعية أو الاجتماعية أو توالي الخبرات والتجارب.







الهدي النبوي في الأخلاق

تخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخلاق القرآن في أبهى صورها، وأكمل معانيها، كيف لا؟، وهو الذي وصفه الحق عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

وإنك لعلى خلق عظيم

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه من أعظم آيات نبوته ورسالته لمن منحه الله فهما؛ لقد سئلت أم المؤمنين عن خلقه صلى الله عليه وسلم، فأجابت بما شفى وكفى فقالت «كان خلقه القرآن».

ارتباط الأخلاق بالعقيدة

من جانبين: الأول: الإيمان بالله تعالى، والثاني: وهو نتيجة للأول، فإذا كان الإيمان بالله هو الأساس والدافع للسلوك القويم؛ فإن لهذه الأخلاق أثرا يتناسب مع الإيمان تناسبا طرديا.

أصول الأخلاق

منها الحسن المحمود، ومنها البغيض المذموم، وأصول الأخلاق جمعها قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ الأنعام: ١١٥.

أصول الأخلاق الحسنة

فهي تنشأت من خلقين شريفين فاضلين وهم الصدق والعدل، والصدق مبني على الرحمة والصبر، ثم العدل وهو مبني على الشجاعة والكرم.

أصول الأخلاق المذمومة

أصول الأخلاق المذمومة منشؤها خلقين هما: الكذب والظلم.

كل خلق محمود مكتنف بخلقين ذميمين

وهو وسط بينهما. وطرفاه خلقان ذميمان، كالجود: الذي يكتنفه خلقا البخل والتبذير.

أثر الأخلاق

أثر الأخلاق، فمن اتصف بخلق بان أثره عليه في عمله.




أخي القارئ، بعد أن تم الكلام في المراحل السابقة عما يجب على المسلم تجاه كلام الله تعالى حتى ينتفع به أتم الانتفاع، كان لابد من الانتفاع به من جانب الأخلاق، وهي المرحلة الأخيرة من مراحل القوة العملية من ضمن المحطة الرابعة من محطات هذه الكتاب، والقرآن الكريم حوى أحسن الأخلاق وأتمها، ونهى عن سوء الأخلاق وأرذلها، وقد تخلق بها سيد الخلق، وقالت عنه زوجه رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن». رواه مسلم (٧٤٦).

كان خلقه القرآن

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١٤٨/١): «يعني أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه، وجاء في رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه».

وقال المُناوي في «فيض القدير» (١٧٠/٥) :» أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده إلى غير ذلك، كان جميع ما حصل في القرآن ، فإنَّ كُلَّ ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلَّى به ، وكل ما استهجنه ونهى عنه تجَنَّبَه وتَخَلَّى عنه، فكان القرآن بيان خلقه ...».

حينما نتأمل قول النبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» رواه أحمد ح٨٧٢٩, انظر الصَّحِيحَة: ٤٥، ندرك تمام الإدراك منزلة الأخلاق وأهميتها في نظر الإسلام، وأن مجيئه ﷺ يتلخص في إتمام البناء الأخلاقي الذي شيده من سبقه من الأنبياء والمرسلين حيث يقول: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل يطوفون به ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» رواه البخاري ح٣٥٣٥، ومسلم ح (٢٢٨٦) ومعنى ذلك أن هدف الرسالات الإلهية أخلاقي في المقام الأول، لأنها تدل الإنسان إلى طريق الخير وإبعاده عن الشر في الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة.

وأمره الله بأن يقتدي بالأنبياء السابقين فقال تعالى:﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ الأنعام: ٩٠، وهذا الهدى المأمور به أن يقتدي بكل واحد من الأنبياء المتقدمين فيما اختص به من الخلق الكريم فلما أمره بأن يقتدي بالكل فكأنه أمر بمجموع ما كان متفرقاً فيهم، ولما كان ذلك وصفه الله بقوله:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤، ولم يصف أحداً من أنبيائه السابقين مثله بالخلق العظيم.

القرآن والأخلاق

لقد ذكر الله من الأخلاق العالية، والصفات السامية، ما قصه عن لقمان حينما وصى ابنه بوصايا نافعة، وخصال حميدة لنتأسَّى ونتصف بها، يقول:﴿يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ لقمان: ١٧ - ١٩.

ولهذا كان المنهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم، غرس معاني الأخلاق الجيِّدة فيها، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١.

وأجمع الآيات في الأخلاق قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩.

هذه الآية جامعة؛ جمعت المكارم، فحسن الخلق يدور على هذه الثلاثة: فالعفو: وهو قبول العذر، والمسامحة، وترك الاستقصاء والتفتيش عن بواطن الناس.

يقول القرطبي: «هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات، فقوله: (خذ العفو) دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله: (وأمر بالعرف) صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، وفي قوله (وأعرض عن الجاهلين) الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة». تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٤).

والأمر بالمعروف؛ الكلمة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ الإسراء: ٥٣، والإعراض عن الجاهلين؛ عدم مقابلتهم بالمثل، قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان: ٦٣.

وقد جمعها عبدالله بن المبارك في كلمات، قال فيها: «حسن الخلق هو: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى». رواه الترمذي ٢٠٠٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٧٧٠٨. ثلاث كلمات بهن يحصل التآلف بين الناس، فتقل شرور بعضهم على بعض؛ فالشر: يقع بسبب الجهل بما هو شر، فالأمر بالعرف يعلم الناس الخير، وهو قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ . أو بالعدوان، والمعتدي قد يرجع على نفسه بالندم، وعلى خصمه بالاعتذار، فإذا قبل منه، وعفا عنه: زال الشر ووقع الخير، وهو قوله:﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ، وإذا مضى في عدوانه، فسبيل كفه: الإعراض عنه، وبه ربما ندم ورجع على صاحبه بالاعتذار، وهو قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

أهمية الأخلاق

لقد حث الإسلام على مكارم الأخلاق، ولقد كان هذا الوصف هو السمة البارزة التي أجملها أخو أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عندما أرسل أخاه ليُعلمه عن خبر هذا النبي قبل إسلامه، فقال له واصفاً ما شاهده من الرسول ﷺ: «رأيته يأمر بمكارم الأخلاق» رواه البخاري ح٣٨٦١.

وبين ﷺ في عدة أحاديث أهمية حسن الخلق وفضله، فأثقل شيء في الميزان عند الله حسن الخلق حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة» رواه الترمذي ح٢٠٠٢ وقال: حديث حسن؛ بل أبعد من ذلك قوله: «ألا أخبركم بأحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، قالوا: بلى، قال: أحسنكم خلقاً» رواه أحمد ح٦٧٣٥، وهو صحيح، وقال: «أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق». رواه أحمد ح٩٦٩٦، وهو حديث حسن.

وبين أن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، رواه أحمد ح٧٤٠٢، حديث صحيح. وقال ﷺ: « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم. رواه أبو داود ح٤٧٩٨، وهو صحيح، وقال كذلك: « أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» رواه أبو داود ح٤٨٠٠، وإسناده حسن.

يخيل لمن سمع هذه الأحاديث؛ أنه لو لم يأت من الصالحات يوم القيامة بشيء إلا حسن الخلق، لاستحق أعلى الدرجات في الجنة، لكن هذا مشروط بفعله للفرائض، فإن حسن الخلق ثقيل في ميزان المغفرة والتكفير للذنوب، وهو في نفسه حسنة وثواب.

ولا عجب في ذلك من قول ابن القيم: «الدين هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين». مدارج السالكين (١/ ٤٦٣).

فهذه الأخلاق **لا تخضع لمقاييس البشر،** وهي مقترنة بالوصايا والأوامر والنواهي الربانية، ومحفوفة بقانون الجزاء الإلهي بالثواب أو العقاب، كما أنها **تتصف بالشمولية،** وعدم الانتقائية في التطبيق، فالمسلم يتحلى بالأخلاق ويترجمها سلوكاً مع الجميع،

يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ المائدة: ٨، يقول القرطبي: «دلت الآية على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه» تفسير القرطبي (٦/ ١١٠). فالمسلم ينطلق في تعامله الأخلاقي مع الآخرين من كونه يتعامل مع جنس البشر، كما **تتصف الأخلاق الإسلامية بالواقعية** وعدم الجنوح إلى المثالية في التطبيق وذلك أخذاً من قول عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ البقرة: ٢٨٦.

أقسام الأخلاق

أ- أخلاق فطرية، تظهر في الإنسان من أول حياته وبداية نشأته..
ب- أخلاق مكتسبة من البيئة الطبيعية أو الاجتماعية أو توالي الخبرات والتجارب.
ولاكتساب خُلق ما؛ لابد من وجود هذا الاستعداد الفطري لاكتسابه، وهذا يتفاوت من إنسان لآخر، فالناس كما تفاوت حظوظهم من الذكاء الفطري والصفات الجسدية، فكذلك تتفاوت طبائعهم الخلقية.
لذا قال النبي ﷺ للأشج بن عبد القيس، رضي الله عنه: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ» رواه مسلم ح(١٧) وذكره ﷺ لهاتين الخصلتين في معرض المدح.

ومما يدل على وجود الفروق في الهبات الفطرية الخلقية: قوله ﷺ:(الناس معادن، كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) رواه البخاري ح ٢٦٣٨ ففي هذا الحديث يثبت الرسول ﷺ وجود فروق في الهبات الفطرية الخُلقية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، كما أن خيار الناس في تكوينهم الفطري، هم أكرمهم خُلقاً، وأن هذا التكوين الفطري يرافق الإنسان ويصاحبه في كل أحواله، فأحاسنهم أخلاقا في الجاهلية، خيرهم معدنا وأفضلهم سلوكا في الإسلام، فإذا عُلِّم وهُذب وتفقه في الدين، امتاز منهم من امتاز سابقا، لأن الإيمان والعلم والتهذيب تمد من كان ذا خلق حسن في أصل فطرته، فتزيده حسن خلق واستقامة سلوك وفضل.

الهدي النبوي في الأخلاق

تخلق رسول الله ﷺ بأخلاق القرآن في أبهى صورها، وأكمل معانيها، كيف لا؟، وهو الذي وصفه الحق عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ القلم: ٤، وقد تواتر عن صحابته رضوان الله عليهم وصفه بحسن الخلق، ومن ذلك أنس بن مالك بقوله: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس» صحيح البخاري ح٢٨٢٠، ورغم ذاك أخبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه كان ﷺ يقول في صلاته: «واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» صحيح مسلم ح(٧٧١).

ولقد كان هديه ﷺ مع من حوله فأخلاقه معجزة من المعجزات النبوية، فلقد عاش بين ظهراني أعدائه من المشركين أكثر من نصف قرن، وكانوا يصفونه بالصادق الأمين، وعاش بقية حياته يجاوره اليهود والمنافقون، فلم ينتقدوه في خلق من أخلاقه، كيف لا؟، والله من رعاه وأدبه كما جاء في الأثر: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

إن مما يجد المسلم الصعوبة فيه هو حصر أخلاقه ﷺ ووصف حسنها وكمالها، ويكفينا من ذلك قوله تعالى﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، ويصفه الحق بقوله﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ التوبة: ١٢٨. ومن كمال خُلُقه ﷺ أنه لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا سباباً، ولا لعاناً، ويجلي الصورة ما قاله عبد الله بن عمرو بن العاصرضي الله عنهما عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ قال: « أجل، والله إنه لموصوف في التوراة





ببعض صفته في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ الأحزاب: ٤٥، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا»

رواه البخاري ح (٢١٢٥)

وأثنى ﷺ على من يتحلى بالأخلاق الحسنة الفاضلة، فقال للأشج بن عبد القيس، رضي الله عنه: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ» رواه مسلم ح(١٧) ،وذكره ﷺ لهاتين الخصلتين في معرض المدح، فالمحب لهما الله عز وجل.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾

وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته لمن منحه الله فهماً؛ لقد سئلت أم المؤمنين عن خلقه ﷺ، فأجابت بما شفى وكفى فقالت «كان خلقه القرآن» فهم سائلها أن يقوم لا يسألها شيئاً بعد ذلك، ومن هذا قال ابن عباس: أي على دين عظيم، وسمى الدين خلقاً لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق تصدر تلك الأقوال، والأعمال عن تلك العلوم والإرادات؛ فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها؛ فهذه كانت أخلاق رسول الله المقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامه مطابقاً للقرآن مما أوجبه وندب إليه، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه، وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه، والجهاد في إقامته، فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن، وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى. التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢١٦)

ارتباط الأخلاق بالعقيدة

من جانبين:

الأول: الإيمان بالله تعالى، هو الأساس الأول لإقامة صرح الأخلاق، فمنه ينبع الخلق، ومنه قوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» رواه البخاري ح٦٠١٩ ومسلم ح(٤٧) ، والدافع إلى الالتزام بهذه الأخلاق هو تصديقه ويقينه التام بأن الله الرزاق سيعطيه أكثر مما ينفق في إكرام جاره وضيفه، ثم أيضا حباً لله تعالى ورسله الكريم في اتباع قوله والعمل بما يحبه، فهاتان القوتان هما الدافعان للأخلاق الحميدة من هذا الجانب.

بل إن الالتزام بالأخلاق من معايير صدق الإيمان، وهو البر الذي قال عنه تعالى ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٧.

الجانب الثاني: وهو نتيجة للجانب الأول، فإذا كان الإيمان بالله هو الأساس والدافع للسلوك القويم والأخلاق الحميدة، فإن لهذه الأخلاق أثرا يتناسب مع الإيمان تناسبا طرديا، فإذا التزم بها بلغ من الإيمان منزلة عالية، وكلما ارتقت وحسنت أخلاقه، بلغ درجة أعلى كما قال ﷺ: ((إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وألطفهم بأهله)) رواه الترمذي ح ٢٦١٢، وقال: هذا حديث صحيح.



أصول الأخلاق

لعل **أجمع تعريف لحسن الخُلق** هو قول عبد الله بن المبارك: «حسن الخُلق بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى» رواه الترمذي ٢٠٠٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٧٧٠٨. وهو تعريف جامع لحسن الخُلق، فبسط الوجه مأخوذ من قول المصطفى ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» رواه البخاري في الأدب المفرد ح٨٩١ ، الصحيحة ٥٧٢. وبذل الندى وهو السخاء، وهو من جملة محاسن الأخلاق؛ بل هو من أعظمها؛ وكف الأذى مأخوذ من حديث الرسول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».رواه البخاري ح١٠، ومسلم ح٤٠.

ولابد من معرفة أصول الأخلاق، ولا تكمل معرفة أصول الأخلاق إلا بمعرفة ضدها، وقد ذكر النبي الكريم ﷺ منها طرفا، فقال:(إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون، قالوا: يارسول الله: قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون) سنن الترمذي ح ٢٠١٨. وقال: هذا حديث حسن.

والأخلاق التي يتخلق بها الإنسان **منها الحسن المحمود، ومنها البغيض المذموم**، وأصول الأخلاق جمعها قوله تعالى﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ الأنعام: ١١٥ ،فقرر أن ما أخبر به فهو صدق وما أمر به فهو عدل، فالله تعالى بعث الرسل بالعلم والعدل، فكل من كان أتم علما وعدلا كان أقرب إلى ما جاءت به الرسل، وهذه هي أصول الأخلاق الحسنة فهي تنشأت من خلقين شريفين فاضلين وهم الصدق والعدل، والصدق منه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٣٣، وهو مبني على الرحمة والصبر كما في قوله تعالى﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ البلد: ١٧، وقد بين النبي ﷺ: «أن الصدق يهدي إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة، وجاء في حديث أخر: «البر حسن الخلق»، فبان أن الأخلاق الحميدة كلها راجعة إلى هذا الخلق النبيل، ثم العدل وهو مبني على الشجاعة والكرم، ومنه قوله تعالى﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٤١والجهاد يحتاج إلى عدل المبني على الشجاعة والإقدام بالنفس، والكرم بالمال.

أما **الأخلاق البغيضة المذمومة فمنشؤها خلقين هما**: **الكذب والظلم**، فالخُلق الأول منها: هو الكذب وهو منشأ الأخلاق الذميمة كما ضده وهو الصدق منشأ الأخلاق الحميدة كما مر، ومنه قوله ﷺ: «وإن الكذب يهدي إلى الفجور وأن الفجور يهدي إلى النار»، وأما الخلق الثاني فهو الظلم: يريك الحسن في صورة القبيح والقبيح في صورة الحسن والكمال نقصاً والنقص كمالاً؛ والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضى، ويرضى في موضع الغضب.

ومن الأحاديث الدالة على هذه الأخلاق قوله ﷺ: « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت



فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار»، رواه مسلم ح (١٩٠٥).

وقد نفاه النبي ﷺ عن نفسه فعن جبير بن مطعم: أنه بينما هو يسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله من حنين، فعلقه الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت رداءه، فوقف النبي ﷺ، فقال: «أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا، ولا كذوبا، ولا جبانا» رواه البخاري ح ٢٨٢١.

وكل خلق محمود مكتنف بخلقين ذميمين. وهو وسط بينهما. وطرفاه خلقان ذميمان، كالجود: الذي يكتنفه خلقا البخل والتبذير. والتواضع: الذي يكتنفه خلقا الذل والمهانة. والكبر والعلو.

وإذا انحرفت عن خلق الحياء انحرفت: إما إلى قحة وجرأة، وإما إلى عجز وخور ومهانة، بحيث يطمع في نفسه عدوه. ويفوته كثير من مصالحه. ويزعم أن الحامل له على ذلك الحياء. وإنما هو المهانة والعجز، وموت النفس.

وكذلك إذا انحرفت عن خلق الصبر المحمود انحرفت: إما إلى جزع وهلع وجشع وتسخط، وإما إلى غلظة كبد، وقسوة قلب، وتحجر طبع. كما قال بعضهم:

وإذا انحرفت عن خلق العزة التي وهبها الله للمؤمنين، انحرفت: إما إلى كبر، وإما إلى ذل. والعزة المحمودة بينهما.

وإذا انحرفت عن خلق الشجاعة انحرفت: إما إلى تهور وإقدام غير محمود، وإما إلى جبن وتأخر مذموم. مدارج السالكين (٢/ ٢٩٥)

أثر الأخلاق

فمن كان متصفا بحب الحق وإيثاره، دفعه ذلك إلى طاعة الله والقيام بشرائعه التي فرضها والابتعاد عما نهى عنه من المآثم، ودفعه إلى شكره على نعمه.

ومن يتمتع بخلق العدل فإنه يجد نفسه مدفوعا بالعامل الخُلقي للالتزام بأحكام المعاملات المالية، وإقامة حدود الله تعالى.

ومن يتمتع بخلق حب الخير للناس والبعد عن الأثرة والأنانية، يزيده ذلك حرصا عليهم وحبا لهدايتهم، وأمرهم بالمعروف والأخلاق الحسنة، ونهيهم عن المنكر والأخلاق السيئة.

الخاتمة

عندما نتكلم عن القرآن فنحن نتكلّم على صفة من صفات ذي الجلال والإكرام، وحينها يجب على الوجود جميعا أن يصغي لكلام خالقه، ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾ الرعد: ٣١.

والمسلم يناله الشرف العظيم حينما يصل نفسه بكتاب الله فتسمو روحه، ويطهر قلبه، ويعيش عيشة سعيدة ملؤها الإيمان وانشراح الصدر، فيا أيها المسلم لا تبرح ساحة القرآن، ولا تبتعد عن رحابه الطاهرة إن كنت تريد ركب النجاة في الآخرة وذي الحياة.

وقد بين الله تعالى أن حال القرآن العظيم أن يقرب الناس من التقوى والتذكر ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾ طه: ١١٣، أي: صرفنا من الوعيد بطرق البيان المختلفة الصادقة ليكونوا في حال من يرجى تقواهم وإذعانهم للحق، وتصديقهم له، ويتقون بذلك عذاب جهنم وإغضاب الله تعالى، وينالون رضوانه وهو أعظم الثواب، أو يحدث هذا التصريف لهم ذكرا يذكرهم بعذاب العاصين، ويكون لهم نذيرا، وقد أسندت التقوى إليهم؛ لأنها أمر نفسي يتجهون إليه بعد قيام الدليل.

والذكر هنا بمعنى التذكر، أي: يحدث لهم القرآن تذكراً ونظراً فيما يحق عليهم أن يختاروه لأنفسهم، فمقتضى الإيمان بهذا القرآن الوصول إلى التقوى، والخروج من الغفلة، وقد قال الله تعالى لموسى وهارون﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ طه: ٤٤، وهنا قال لمحمد ﷺ ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ طه: ١١٣، فذكر في كل واحدة من الرسالتين العظيمتين أن ذلك لأجل التذكر أو الخشية ولم يقل: ليتذكر ويخشى ولا قال: ليتقون ويحدث لهم ذكرا؛ بل جعل المطلوب أحد الأمرين وهذا مطابق لقوله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ النحل: ١٢٥ ونحو ذلك.

فنحن اليوم إذا أردنا الخروج من حالة الغثائية والتيه التي تعاني منها الأمة هذه الأيام، لا بد من العودة الجادة إلى كتاب الله تعالى، وأن يسوس الدنيا رجال من الأمة، يحملون القرآن، يقودون به العالم ؛﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ الأنبياء: ١٠ .

يا صاحب القرآن، إن العودة للقرآن سبيل لتحقيق حلم صناعة الرجال، فأقبل ولا تخف، وخذ ما آتاك ربك وكن من الشاكرين، استمع واتل، وتدبر واعمل.. لا تشك، ولا تتردد.

واعلم أنه جاءت عدة أحاديث تدل على رفع القرآن الكريم في آخر الزمان فهذا عبد الله بن مسعود قال : « أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع » قالوا : هذه المصاحف ترفع ! فكيف بما في صدور الرجال ؟ قال: « يسرى عليه ليلا فيصبحون منه فقراء ، وينسون قول لا إله إلا الله، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، وذلك حين يقع عليهم القول»، أخرجه الدارمي برقم ٣٢٠٧ بإسناد حسن والمراد بالقول: ماجاء في الآية الكريمة: ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ النمل: ٨٢.

قال الإمام ابن تيمية : « فإنه يسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى فى الصدور منه كلمة، ولا فى المصاحف منه حرف». مجموع الفتاوى (٣ / ١٩٨).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» رواه البخاري ح ١٥١٩، ومسلم ح (٢٩٠٩) ، ويرفع الله عز وجل القرآن من الأرض فلا تبقى منه آية في المصاحف والصدور، والله يغار أن يبقى كتابه

في الأرض بلا فائدة لا يعمل به فيحدث هذا الأمر.

وقد بانت بوادر رفعه بهجره، فلـمَّا هجر القومُ كتابَ الله، وأعرَضوا عمَّا فيه مِن الهدى، شكاهم نبيُّنا صلى الله عليه وسلم إلى ربِّه، فقال تعالى ـ حاكيًا قولَه﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ الفرقان: ٣٠

وهذا الإخبار مِن النَّبيِّ الكريم صلى الله عليه وسلم حِكايةٌ عن قوله في الدُّنيا ــ بدليل ما يتبعه مِن التَّسلية والمؤانسة في الآية الموالية، وفي هذه الشِّكاية مِن رسول الله ﷺ تخويفُ عظيمٌ لقومه، وترهيبٌ لهم؛ لأنَّ أنبياءَ الله ورسلَه كانوا إذا شَكَوْا قومَهم إلى ربِّهم حلَّت بهم نِقمة الله، وعجِّل لهم عذابه، ولم يُنْظَروا، وفي هذا وعيدٌ شديدٌ لكلِّ مَن كان هاجرًا للقرآن، بأيِّ وجهٍ مِن وُجوه الهجران.

وقد استَدلَّ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله بهذه الآيات على أنَّ هاجر القرآن: مِن أعداء النَّبيِّ ﷺ؛ فقال:«فبيَّن أنَّ مَن هجر القرآن: فهو مِن أعداء الرَّسول، وأنَّ هذه العداوة أمرٌ لا بدَّ منه، ولا مَفرَّ عنه». مجموع الفتاوى (١٠٦/٤).

والآية سياقها ممَّا يُرهب ويُخيف عموم الهاجرين لكتاب الله وإن كانوا به مِن المؤمنين، ولقد حذَّر الله تعالى وتوعد المعرضين عن القرآن ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ۝٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾ طه: ٩٩ - ١٠١

أنواع هُجر القرآن:

هجرُ القرآن ليس له صُورة واحدة، بل هو أنواع مختلفة، كما دلَّت عليه نصوص الوحيَين، أشار إليها ابن القيِّم في «الفوائد» (ص ١٥٦)، وابن كثير تفسيره (٣٠٣/١٠)، وقد ذكرناها على ترتيب ما مر من المراحل:

١-**هَجْر استماعِه والإنصات إليه**:ومن قوله ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤ قال ابن تيمية: «فلو كان الرَّجل مارًّا فسمع القرآن، مِن غير أنْ يستمع إليه، لم يُؤجر على ذلك، وإنَّما يُؤجر على الاستماع الَّذي يقصد».مجموع الفتاوى (٢١٣/٣٠).

٢- **هَجْر تِلاوتِه**:لقد أمر الله تعالى بتلاوة كتابه العزيز واتِّباعه وقراءته، فقال:﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ العنكبوت: ٤٥، وكان مِمَّا أوصى به صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه: قوله لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله؛ فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء» رواه ابن حبَّان (٣٦١)، انظر: صحيح التَّرغيب (٢٢٣٣).

٣- **هجر حفظه سواء كان كله أو بعض سوره**، وخاصة ما يتعلق من سوره بعبادة، كالفاتحة وغيرها من قصار السور.

٤-**هجر تفهُّمه وتدبُّره**: قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ص: ٢٩، وقد وبَّخ الله تعالى مَن ترك التَّدبُّر في القرآن، فقال:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ محمد:٢٤.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: «وهجر معانيه أعظم مِن هجر ألفاظه».بيان تلبيس الجهميَّة»(٥١٤/٨).

٥-**هجر التصديق واليقين به، وعدم تذكره والغفلة عنه.**والتصديق بآيات الله تعالى هو التصديق الجازم بانها من عند الله نزلت على رسوله الكريم، قال تعالى:﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ الزمر: ٣٣، والإيمان شرط للانتفاع بالقرآن، كما في قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ الإسراء: ٨٢.

٦-**هجر محبته وتعظيمه**: لكتاب الله تعالى المكانة العظيمة ومحبة كبيرة في قلب كل مؤمن، إذ هو كلام الله تعالي، وتعظيمه وإجلاله دليل على تعظيم الله سبحانه وخشيته، ومن دلائل تقوى القلوب تعظيمها لشعائر الله، ومن أعظمها كلام الله، فمن تحقق بالتقوى لا بد أن يحبَّ كتاب

الله تعالى، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» رواه البخاري في الأدب المفرد ح٣٥٧.

٧-هجر العملِ به: إنَّ الغاية العُظمى مِن إنزال القرآن الكريم هي العمل به، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، لهذا قال تعالى:﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ الأنعام: ١٥٥

قال ابن تيميَّة رحمه الله:«والمطلوب مِن القرآن: هو فهم معانيه، والعمل به، فإنْ لم تكن هذه همَّة حافظه، لم يكن مِن أهل العلم والدِّين».مجموع الفتاوى (٢٣/٥٥).

٨- ومن هَجْر العمل بما فيه؛ هجر الاستشفاءِ به: قال تعالى:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ الإسراء: ٨٢، وقال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يونس: ٥٧.

٩- ومن هَجْر العمل بما فيه؛ هَجْر تحكيمِه والتَّحاكمِ إليه: قد أنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ القرآن الكريم ليحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه، فتسعد به البشريَّة مِن خلال تطبيقهم لأحكامه، ونهاهم عن تحكيم غيره، قال تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ النساء: ١٠٥.

قال ابن كثير رحمه الله:«يُنكر تعالى على مَنْ خرج عن حُكم الله المحكَم المشتمِل على كلِّ خير، النَّاهي عن كلِّ شرٍّ، وعدَل إلى ما سِواه مِن الآراء والأهواء والاصطلاحات الَّتي وضعها الرِّجال بلا مُستنَدٍ مِن شريعة الله».تفسير القرآن العظيم» (٥/٢٥١).

ولـمَّا أعرض النَّاس عن تحكيم كتاب الله استحقُّوا عُقوبة الله، وحلَّ بهم سَخَطه، وأذاقهم الله لباس الجوع، وظهر فيهم الفقر، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَمْسٌ بِخَمْسٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قَالَ: «مَا نَقَضَ قَوْمٌ العَهْدَ إِلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الفَقْرُ، وَلا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الفَاحِشَةُ إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ المَوْتُ، وَلا طَفَّفُوا المِكْيَالَ إِلاَّ مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلاَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلاَّ حُبِسَ عَنْهُمُ القَطْرُ».رواه الطَّبراني في المعجم الكبير (١٠٩٩٢)، انظر: «صحيح الجامع» (٣٢٤٠).

٨-هجر التخلق به. فالقرآن العظيم كان خلق رسول الله ﷺ كما أخبرت عائشة رضي الله عنها، ولهذا كانت حياته عليه الصلاة والسلام حياة المؤمن الصادق في كل قولة أو فعلة أو كلمة أو ذهاب أو مجيء، بل في جميع أموره متخلقاً بخلق القرآن، ومتأدباً بأدبه، وكذلك كان أصحابه من بعده رضي الله عنهم، فهلا سرنا على طريقهم، وانتهجنا نهجهم؟.

ختاماً، قد وصلنا إلى ختم ما أردنا من الكتاب، والله نسأل أن ينفع به كل من قرأه، وأن نكون قد وفقنا في طرحه، وما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمنا والشيطان، ونستغفر الله العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المراحل الثمان للانتفاع بالقرآن

مرحلة الاستماع

مرحلة التلاوة

مرحلة الحفظ


مرحلة الفهم



مرحلة التصديق واليقين

مرحلة محركات القلوب

مرحلة العمل

مرحلة التخلق


المراحل الثمان
للانتفاع بالقرآن